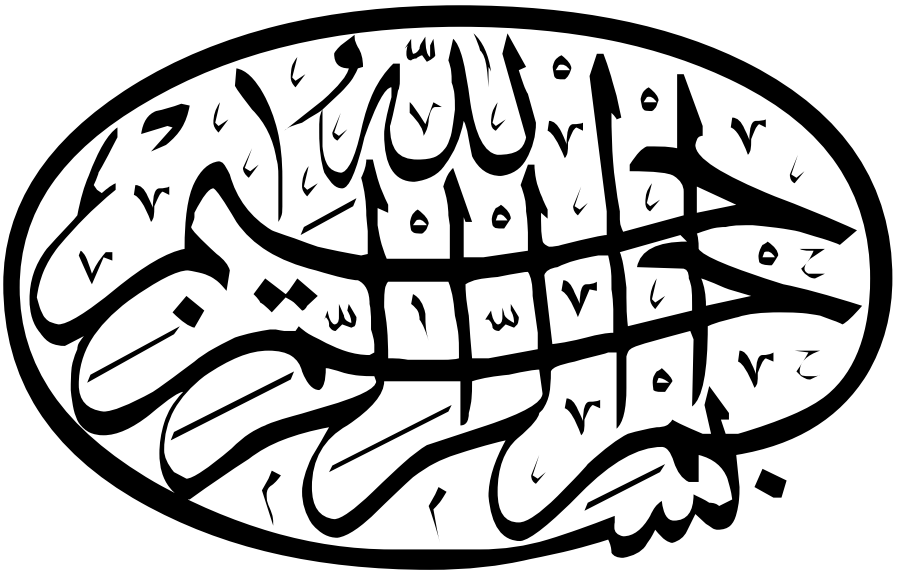

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد :

فهذا شرحٌ وجيزٌ لـرسالة ((**الجامعُ لعبادة الله وحده**)) ، وعنوان هذه الرسالة مأخوذٌ من أولِ سؤالٍ ورد فيها ، وهذه الرسالة ليس فيها بسملة ولا مقدمة لأن هذه الرسالة مأخوذة من رسالة كان الشيخُ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد كتبها تلبية لطلبٍ من الأميرِ عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله فقد طلب من الشيخ أن يكتب رسالةً ليقوم بتوزيعها وأمر الناس بتعلّمها فكتب الشيخُ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله استجابة لطلب الأمير ونفعاً للمسلمين رسالة موجزة عنوانها ((**رسالة موجزة في أصول الدين**))[1] وهي رسالة نافعة جعلها الشيخُ رحمه الله على طريقة السؤال والجواب، إذا ليس للشيخ رسالة

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٤٦) .

مستقلة بهذا العنوان أعني ((**الجامع لعبادة الله وحده**)) وإنما هذه الرسالة مأخوذة من الرسالة الموجزة في أصول الدين .

ومؤلفها: هو الإمام المجدد الشيخ أبي الحسين محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي رحمه الله، وُلِدَ بالعُيينة في سنة ١١١٥هـ وتوفي رحمه الله بالدرعية في سنة ١٢٠٦هـ .

وأما موضوعها فهو :

تعريف العبادة وبيان شيء من أنواعها وبيان أنها حق الله وحده ولا تصلح لغيره ، وأن من جعلها أو شيئاً منها لغير الله فقد أشرك .

وبيانُ أعظمُ أمرٍ ، أمر الله به وهو التوحيد .

وبيانُ أعظمُ أمرٍ نهى الله عنه وهو الشرك بالله عز وجل .

فهذه الرسالة مهمة جداً من جهةِ أن الشيخ رحمه الله بيّن فيها معنى العبادة التي خلق الله عز وجل الجن والإنس لأجلها ، ففي هذه الرسالة إحياءٌ لما اندثر من مفهوم العبادة والتوحيد والشرك، والكثير من الناس في هذه الأزمنة جهلوا معنى العبادة وجهلوا معنى الإله ، فحصل بسبب ذلك خلْطٌ وخبطٌ عجيب فصرفوا العبادة لغير الله عز وجل ووقعوا في الشرك بالله ـ وكل هذا بسبب الجهل بهذه الحقائق الشرعية، جهلوا معنى العبادة وجهلوا أنواعها فكان ذلك من أعظم الأسباب

التي أدت إلى جعل العبادة لغير الله ﷻ ، وكذلك جهِلَ الناس معنى الإله فألّهوا غير الله ﷻ وعبدوا غيره وهم لا يعلمون أن جعلَ العبادة لغير الله ﷻ من تأليهِ غيره، ولا يعلمون أن ما جعلوه لغير الله يدخلُ في حدِّ العبادةِ التي لا تصلُحُ لغير الله فالجهل بمعنى العبادة من أعظمِ أسباب وقوع الكثير من الناس في الشرك بالله كما بيّن ذلك الشيخ المعلّمي اليماني رحمه الله في كتابه «رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله »[1]، فقد ذكر أن من أعظم الأسباب التي وقع بسببها الكثير من الناس في الشرك بالله ـ هو الجهل بمعنى العبادة والجهل بمعنى كلمة (إله)، فمن أهمِّ الأمورِ أن يتعلم الإنسان معنى ما خُلِقَ لأجله فإن الله ﷻ إنما خلقنا لعبادته قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فكلُّ من نصح نفسه وأراد نجاتها لا بد له أن يتعلمَ معنى العبادة وأن يتعرّف على أنواعها حتى يؤدي ما خُلِقَ لأجله وما أمره الله تبارك وتعالى به .

كتبه أبو عكرمة وليد بن فضل المولى الخالدي

---

(١) رفع الاشتباه (صـ ٣١ / ٣٢) ط :المكتبة العصرية .

بيان معنى العبادة وأركانها

قال الشيخ رحمه الله: { فإن قيل، فما الجامع لعبادة الله وحده ؟

قلت : طاعته بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه } .

الشرح

قوله : { **فإن قيل** } : يعني فإن سُئلتَ يا طالب العلم فقيل لك فما الجامع لعبادة الله وحده ؟ أي فما الحدُّ وما التعريفُ الجامع لعبادة الله وحده .

الحد لغة : لها معنيان.

١ـ المنعُ، ومنه سُمي البوّاب حداداً لأنه يمنع الناس من الدخول ، وسُميَ الحدُّ على المعصيةِ حداً لأنه يمنع العاصي من المعاودة لمعصيته .

٢ـ طرْفُ الشيء .

واصطلاحاً : هو ما يُميّز الشيء عما عداه .

ولا يكون الحد مميّزاً للشيء عما عداه إلا إذا كان جامعاً **لأفراده مانعاً من دخول غيرها فيه** .

قولنا : (**لأفراده**) يعني لأفراد الشيء المحدود أو الشيء المعّرف، قولنا : (**مانعاً من دخول غيرها**) : يعني مانعاً من دخول غير أفراده، قولنا: (**فيه**) يعني في هذا الحد ، فمثلاً الصلاة تُعرف بأنها: أقوالٌ وأفعالٌ مخصوصة مبدوءة بتكبيرة الإحرام مختومة بالسلام ، فهذا الحدُّ جامعٌ مانع يجمع لك جميع أفراده يجمعُ لك جميع أنواع الصلوات فرضها ونفلها ، فلا تجد صلاةً إلا وهي تدخلُ في هذا الحد ، وهل تدخل عبادة من العبادات سوى الصلاة في هذا الحد؟ الجواب : لا، كذلك الشأن في أمر العبادة فلا بد لطالب العلم أن يتعرّف على تعريف العبادة الجامع المانع الذي به يعرفُ الطالبُ أنواع وأفراد العبادة حتى يضعها في موضعها ويجعلُها لمستحقها .

قوله : { **فما الجامع لعبادة الله وحده ؟** } : السؤال هنا عن التعريف الجامع المانع للعبادة الذي يجمع لك جميع أفرادها ويمنع من دخول غيرها معها .

فالعبادة لغة: التذلل والخضوع ، يقال : طريق معبد : يعني مذلل بوطء الأقدام أي : بالسير عليه ، ويقال بعيرٌ معبّد: يعني مذلل

بكثرة الركوب عليه ،وسُمّيَ العبدُ لذلتهِ وانقياده لسيده ومنه قول طَرَفَة بن العبد وهو يصف ناقته :

تُبارِي عِتاقاً ناجِياتٍ وأَتْبَعَتْ وَظيفًا وَظيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

معنى البيت: (تُبَارِي): تُسابق، (العتاق): النُّوق الجيدة، (الناجيات): السريعات، (الوظيف): عظم الساق، (المور):يعني الطريق (المعبد): المذلَّل بسير الناس عليه ، وقوله أيضا في مُعلقتهِ :

إلى أنْ تحامَتْني العَشيرةُ كُلُّها وأُفرِدْتُ إِفْرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

وشرعًا : تعرف باعتبارين.

الأول : باعتبار المتعبد به (أي باعتبار أفراد وأنواع العبادة): وبهذا الاعتبار تُعرَّف بتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العبودية : «وهو أنَّ العبادة :اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»[1] .

قوله : (العبادة اسمٌ) لدخول (أل) عليها ، فكل كلمة دخلت (أل) عليها فهي اسمٌ ، قوله (جامعٌ) يعني : يضُمُّ ويشتملُ على كلّ

---

(١) الفتاوى (٥/ ١٥٤).

الذي يحبه الله ويرضاه؛ لأن (ما) في قوله : (لكل ما) موصولة بمعنى الذي تُفيدُ العموم .

كيف نعرف أن الله يحب هذا القول أو أن الله يُحب هذا العمل ؟

الجواب: إذا أمر به أمر إيجابٍ أو أمر استحبابٍ، أو أثنى على فاعله، أو رتَّب على فعله ثواباً أو رتب على تركه عقاباً.

قوله : (من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) دلّ على أن العبادةَ أقوالٌ وأعمالٌ وكلاهما باطنةٌ وظاهرة .

فالعبادات القولية نوعان : قوليّة ظاهرة وقوليّة باطنة.

العبادات القوليّة الظاهرة: هي (أقوال اللسان) كتلاوة القرآن وذكر الله ﷻ والآذان والإقامة والتشهّد والأذكار التي في الصلوات كأذكار الركوع وأذكار السجود ، وغير ذلك من الأذكار ، فكل قول أمرنا الله ﷻ أن نقوله أو أثنى الله جل وعلا على قائليه أو رتّبَ على قوله ثواباً فهذا داخل في حد العبادة القولية الظاهرة .

وأما العبادات القوليّة الباطنة : فالمراد بها تصديقُ القلبِ وإقرارهُ واعتقاده.

قوله : (**والأعمال الظاهرة والباطنة**) :

الأعمال نوعان:

١ـ **الأعمال الظاهرة:** وهي أعمال الجوارح ، كالصلاةِ والزكاة والحج والجهاد في سبيل الله وإماطة الأذى عن الطريق والصدقة .

٢ـ **الأعمال الباطنة** : وهي أعمال القلوب ، كالخوف والخشية والرغبة والرهبة والخشوع والإنابة والتوكل ، وتدخل التروك أيضاً في حدِّ العبادة، فكلُّ ما أمر الله بتركه وتركه الإنسان فإن هذا الترك يُعتبرُ عبادةً من العبادات ، فإذا ترك العبدُ الشركَ وشُرب الخمرِ والزنا ، فتركه هذا عبادة ، ويدخل في حدِّ العبادةِ جميع ما أمر الله به من العقائد كاعتقاد أن العبادة حقٌّ لله ، وأنه المستحِّقُ لها دون من سواه ، وكاعتقاد وجود الجنة ،واعتقاد وجود النار، واعتقاد وجود الصراط، واعتقاد وجود الملائكة، إذا فهمنا هذا ظهرَ لنا أن العبادة أنواعٌ كثيرة كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، والدعاءِ والحلف والاستعانةِ والاستغاثة ، والذبح والطواف ببيت الله ﷻ..... إلى آخره .

فالعبادة ليست محصورة في الصلاة والصيام والزكاة والحج كما يزعمُ ويفهمُ الكثيرُ من الناس ، فيزعمون أنك إذا صليت لله وصمت

لله وزكيت لله وحججت لله ، فلا يضرك بعد ذلك أن تدعو غير الله أو أن تستعين بغير الله ، والكثيرُ من هؤلاءِ أُتوا من قِبلِ جهلهم بالعبادةِ وبأفرادها ، فإذا عرف الإنسان العبادة وأنواعها فإنه يفهمُ كما أنه لا يصلي إلا لله لأن الصلاة عبادة ، وأن العبادةَ حقُ الله ﷻ فكذلك يعرف أن من أنواع العبادة الدعاء ومنها الاستعانة ومنها الاستغاثة وأنها لا تصْلُحُ لغير الله ، ولذلك لا يمكن أن يُتوجّهُ بهذه العبادات لغير الله كما أنه لا يصلي إلا لله ولا يصوم إلا لله ، فإن أوصلنا إلى الناسِ معنى العبادة وعرفوا أنواعها وأن الدعاء والحلف والاستعانة والاستغاثة منها ،فهذا يكون سبباً في انكفافِ الكثير من الخلق عن جعل العبادة أو جعل شيء منها لغير الله .

ومما تعرف به العبادة بهذا الاعتبار أي؛ [باعتبار المتعبّد به ، أي باعتبار أفرادها وأنواعها] : أن العبادة : هي ما أُمر به شرعاً من غير اطرادٍ عُرفي ولا اقتضاءٍ عقلي، وهذا معناه أن مبنى العبادة على الأمر الشرعي ، فكل ما أمر الله جل وعلا به ورسوله ﷺ أمر إيجابٍ أو أمر استحباب فهو داخلٌ في حدِّ العبادة ولا مدخلَ لعُرفِ الناس في العبادة ولا مدخل لعقولهم وأقيستهم ومواجيدهم في تحديد العبادة ، فليست

العبادة ما توارد الناس عليه وليست العبادة ما اخترعه الناس بعقولهم وإنما مردُّ العبادة ومبنى العبادة على ما أُمرَ به شرعاً ، فكل ما جاءنا الأمرُ به في كتاب الله ﷻ وفي سنة النبي ﷺ بأن افعلوا كذا فهذا داخلٌ في حدِّ العبادة.

الثاني باعتبار التعبد [أي فعل العبادة]: وتعريفها بهذا الاعتبار أن يقال: هي التَّذلُّل والخضوع لله تعالى وحده بفعل أوامره وترك نواهيه محبَّة وتعظيمًا على وفق الشرع .

قال ابن القيم رحمه الله في بيان معنى العبادة :

وهو الإله الحقُّ لا معبودَ إلا وجههُ الأعلى العظيم الشـــانِ
بل كل معبودٍ سواهُ فباطلٌ من عرشه حتى الحضيضِ الداني
وعبادةُ الرحمنِ غاية حبه مـعْ ذلِّ عابــده هما قطبـــان
وعـليهما فلك الـعبادةُ دائـرٌ ما دار حتى قامت القـطبـــان
ومـداره بالأمر أمر رسوله لا بالهــوى والنفس والشيطان
فقيام دين الله بالإخلاص والإ حـسان إنهــما لــه أصـــلان

قال : (**وعبادةُ الرحمنِ غاية حبه**) غاية المحبة مع غاية التذّلل ، ومردُّ العبادة إلى الأمر الشرعي ليس مردُّها إلى الهوى وليس مردّها إلى

ما زيّنه الشيطان للناس ، فالصلاة مثلاً عبادة باعتبار المتعّبَد به، لأنها فردٌ من أفراد العبادة ونوع منها ، وهي عبادة باعتبار أدائها وفعلها الذي هو التعّبد لما يأتي الإنسان يستقبل القبلة ثم يستفتح ويركع ويسجد وهو ذالٌ خاضعٌ لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له فإنه يفعلُ شيئاً أمرهُ الله تبارك وتعالى بفعله محبةً وتعظيماً لله ويُوقِعُ هذه الصلاة على وفق الشرع على ما أبانه النبيُّ ﷺ نقول هذا قد تعبّد ، يعني أنه ذلّ وخضع لله بجعل عبادته له محبةً وتعظيماً وفق الشرع .

قوله : { **فإن قيل، فما الجامع لعبادة الله وحده** } ، قوله: **(وحده)** يعني منفرداً، قال ابن فارس (الواو والحاء والدال، أصلٌ يدلُ على الانفراد)[1]، ومنه قولهم : جاء فلان وحده يعني منفرداً .

فهنا قال الشيخ : { **فإن قيل، فما الجامع لعبادة الله وحده** } يعني منفرداً وهذا هو الواجب لأن الله جل وعلا أمرنا أن نُفرده بالعبادة ، يعني أن نجعل عباداتنا لواحدٍ وهو الله .

---

(١) معجم المقاييس (٦/ ٩٠) .

قال :{ **قلت : طاعته بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه** } وهذا تعريفٌ للعبادة باعتبار التعبّد الذي هو فعلُ العبادة .

الطاعة هي فعلُ الأمر وترك النهي على وجه الاختيار، فإذا أطاع العبد ربه فامتثل ما أمر الله جل وعلا به فإنه يكون قد عبده فإذا سمع قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، صلى وزكّى، وإذا سمع قوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر:٦٠]، دعا الله وحده ،وإذا سمع قوله ﷺ « وإذا سألت فأسأل الله»(١)، سأل الله وحده وامتثل أمره هذا قد عبد الله على وفق الشرع .

قوله : { **واجتناب نواهيه** } : فإذا سمع قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠]، اجتنب المذكورات ، وإذا سمع قوله :﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ

(١) رواه الترمذي من حديثِ ابن عباس رضي الله عنهما.

وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[الأنعام:١٥١]، ترك قتل النفس طاعة لله هذا يكونُ قد عبد الله ﷻ بترك المحرمات ، كذلك عَبَدَ الله بتركه للربا وبتركه للرشوة وغير ذلك من المعاصي .

هذا كله داخل في حدّ العبادة فإذا ظهر لنا معنى العبادة التي خلقنا لأجلها وأمرنا بأن نتقرّب بها لله وحده يجبُ أن نعلم أن الله أمرنا بأن نعبده وحده ، أمرنا بعبادة خلية من الشرك.

قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء:٣٦] ، والنهي بعد الأمر منزلٌ منزلة الحصر والقصر، فمعنى قوله ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ : يعني اعبدوني وحدي ولا تعبدوا غيري ، وقال الله ﷻ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وفي الصحيحين : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً »[1]، وقال تعالى :﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ

(١) البخاري برقم(٢٨٥٦) ومسلم برقم (٣٠) .

مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد: ٣٦]، وأنت إذا تأملت تجد أن الله ﷻ يقرنُ كثيراً بين الأمر بعبادته والنهي عن الشرك ، إذاً عبادة الله مع الشرك ما أمر الله بها، ولا أنزل بها من سلطان، فكلُّ من عبد الله عبادة خلطها بالشركِ فإنه يكونُ قد عبد الله بعبادة أتى بها من عند نفسه والشيطان، والله ورسوله منهما بريئان ، ويكون بمنزلة من لم يعبد الله البتة لأن كلاهما لم يمتثل أمر الله، فالله ﷻ أمرنا أن نعبده بعبادة مقرونة بنفي الشرك، أمرنا أن نعبده بعبادة خالية من الشرك، لأن مردّ العبادة إلى الأمر الشرعي، فأين أمرنا الله جل وعلا في كتابه أن نعبده عبادةً نُشْركُ معه فيها غيره؟ هذا لم يأمرنا الله به ، بل جاء الرسل جميعاً بالنهي عنه قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۖ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[الأنعام: ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ١١]، فهذا الذي أمر الله جل وعلا به .

فالعبادة التي أرادها الله تبارك وتعالى منا هي أن نعبده وحده ، أراد منا عبادة على جهة الإفراد ، عبادة خالية من الشرك ، أمرنا بعبادة

مقرونة بنفي الشرك ، قال الله ﷻ ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ الله ﷻ لم يقتصر على أمرنا بالعبادة بل قرن ذلك بنهينا عن الشرك ، فالعبادة التي أرادها الله منا هي العبادة المقرونة بنفي الشرك قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ ﴾ [الرعد:٣٦]، ما اقتصر على الأمر بعبادة الله وإنما قرنها بنفي الشرك بالله، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، كذلك ما اقتصر هنا على الأمر بالعبادة حتى قرن ذلك بنفي الشرك ﴿ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ ﴾ هذه الكلمة هي (لا إله إلا الله) ثم فسرها بقوله : ﴿ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾، وقال تعالى : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٣٨]، وهكذا إذا تأملتَ في كثير من الآيات تجد أن الله جل وعلا قرن بين الأمر بعبادته والنهي عن الشرك ، قرن بين الأمر بعبادته ونفي الشرك ، كذلك قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ ﴾ [الجن: ٢٠]، وقال الله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ

رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦]، اعبدوا الله واتركوا عبادة غيره ، وكذلك جاءت السنة ببيان هذا كما في حديثِ معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»[١] فجمع بين الأمر بالعبادة ونفي الشرك، وكذلك ما ثبت في الصحيح من حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم : « آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع : اعبدوا اللهّ ولا تشركوا به شيئاً »[٢] الحديث .

وكذلك جاء في حديث أبي سفيان رضي الله عنه في قصته مع هرقل قال له هرقل : «وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان»[٣]، والأحاديث في هذا كثيرة .

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٢٣) ومسلم برقم (١٧)

(٣) رواه البخاري برقم (٧) .

قال ابن القيم رحمه الله:

حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان

من غير إشراك به شيئا هما سببا النجاة فحبذا السببـــان

ما هو أمرٌ بالعبادة فقط وإنما هو أمرٌ مقرون بالنهي عن الشرك ، فالعبادة التي أمر الله جل وعلا بها هي العبادة الخلية من الشرك ، العبادة التي أرادها الله جل وعلا من الخلق وخلقهم لأجلها لا بد فيها من نفي الشرك بالله، والمشركون إنما سُموا بالمشركين لأنهم عبدوا الله وعبدوا معه غيره فجاءت الرسل تأمرهم بعبادة الله وحده وتنهاهم عن عبادة غير الله، قال الله تعالى﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١]، يعني أنهم جعلوا له نُظراء في العبادة كما قال تعالى عنهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ ﴾ [الشعراء: ٩٧ – ٩٨]، فهم ما ساووهم برب العالمين في خلقٍ ولا في رزقٍ ولا في إيجادٍ وإنما سووهم بالله ﷻ في العبادة ، بأن صرفوا شيئاً من العبادة لله وصرفوا شيئاً منها لغير الله ﷻ ، ولذلك جاءت الرسل تأمرهم بعبادة الله وحده وتنهاهم عن عبادة غير الله، قال الله ﷻ ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ

﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر: ١٢] ، ﴿ دُعِىَ ﴾ يعني: عُبِدَ الله وحده على جهة الإفراد ، هذا هو الذي أراده الله عبادة مقرونة بنفي الشرك ، قوله ﴿ كَفَرْتُمْ ﴾ يعني : أنكروا إفراد الله بالعبادة ، قوله ﴿ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ هذا دينهم، قوله: ﴿ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ ﴾ يعني يُعْبد الله بعبادة مقرونة بالشرك، يُعبدَ ويُعبد معه غيره هذا دين المشركين ، أما الدين الذي جاء به الأنبياء هو عبادة الله بعبادة مقرونة بنفي الشرك هو عبادة الله وحده ،لذلك كانوا يقولون للأنبياء كما قالوا لهود عليه السلام ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ إذاً رُسل الله جاءوا بعبادة الله على جهة إفراده سبحانه وتعالى بها ونهوا عن عبادة غيره وهذا خلاف الدين الذي كان عليه المشركون فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره .

إذا عرفنا أن الله جل وعلا أمرنا بعبادة خلية عن الشرك ينبني على هذا أن نقول إن الذي يعبد الله جل وعلا بعبادةٍ مخلوطةٍ بالشرك كمن لم يعبد الله أبداً لأن كلاهما لم يأتِ بما أمر الله تبارك وتعالى به ، فالذي عبد الله بعبادةٍ مخلوطةٍ بالشرك هذا ما جاء بما أمره الله تبارك

وتعالى به ، والذي أُمرَ بعبادة الله ولم يعبد الله البتة هذا كذلك ما جاء بما أمره الله تبارك وتعالى به ولذلك قرر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في غير ما كتاب أن العبادة لا تُسمى عبادة شرعية ولا تكونُ شرعية إلا مع التوحيد.

و العبادة لها ثلاثة أركان وهي:

١- المحبة.

٢- الخوف .

٣- الرجاء.

والدليل على هذه الأركان قول الله جل وعلا :﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: ١ – ٥]، فدليل المحبة قوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾، فالنفوسُ مجبولةٌ على محبةِ من أحسن إليها والسعي في طاعته والعمل بما يُرضيه .

ودليل الرجاء قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، ودليل الخوف قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، ثم قال : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ ، كأنه

قال لك هذه هي العبادة ،﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فهنا قدم المفعول على الفعل والفاعل لإفادة الحصر والقصر ، حتى تعلم أن العبادة التي أرادها الله جل وعلا من العباد أن يعبدوه عبادة على جهة الإفراد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ يعني نعبُدُكَ وحدكَ وما تقدم قبل هذه الآية تلك أركان العبادة .

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: (**وتضمنت ثلاث الآيات ثلاث مسائل**).

الآية الأولى: فيها المحبة لأن الله منعم، والمنعم يحب على قدر إنعامه والمحبة تنقسم إلى أربعة أنواع:

المحبة الأولى: محبة شركية، وهي محبة الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[البقرة :١٦٥- ١٦٧] .

المحبة الثانية: محبة الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله ؛ وهذه صفة المنافقين .

المحبة الثالثة: محبة طبيعية، وهي محبة المال والولد، فإذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تعن على محارم الله، فهي مباحة.

المحبة الرابعة: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يعبد بها الإنسان ربه.

الآية الثانية: فيها الرجاء .

الآية الثالثة : فيها الخوف ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة : ٥] أي: أعبدك يا رب بما مضى بهذه الثلاث، بمحبتك ورجائك وخوفك؛ هذه الثلاث أركان العبادة، وصرفها لغير الله شرك.

وفي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منها، كمن تعلق بالمحبة وحدها، أو تعلق بالرجاء وحده، أو تعلق بالخوف وحده، فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك.

وفيها من الفوائد: الرد على ثلاث طوائف والتي كل طائفة تعلق بواحدة منها، كمن عبد الله بالمحبة وحدها، وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده كالمرجئة، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده كالخوارج)[1].

---

(١) الدرر السنية (١٢/ ٧٣).

ومن الأدلة على هذه الأركان قوله ﷻ : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧] .

قوله : ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾: هذا دليل المحبة لأن المحبة هي الباعث على التنافس في العمل وعلى الطاعةِ للمُحَب قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فالتنافسُ في الأعمال الصالحة والتسابُقُ فيها هذا دليلُ المحبة.

قوله : ﴿ وَيَرْجُونَ ﴾ هذا دليل الرجاء ، وقوله : ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ ﴾ هذا دليل الخوف ، كذلك قوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

فقوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾هذا دليلُ المحبة ، دوام الطاعة لله ﷻ دليلٌ على المحبة .

وقوله : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ هذا دليل الخوف ، وقوله : ﴿ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦٓ ﴾ هذا دليل الرجاء ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، قوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ هذا دليلُ المحبة لأن من أحبّ الله سارع إلى طاعته ، وقوله : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا ﴾ يدعوننا : يعني يعبدوننا ﴿ رَغَبًا ﴾ هذا دليل الرجاء ، وقوله : ﴿ وَرَهَبًا ۖ ﴾ هذا دليل الخوف، والعبادة لها شروط لا تُقْبَل ولا تصحُ إلا بها ، ذكرها الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره أضواء البيان عند قول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾.

فشروط العبادة ثلاثة :

الأول : الموافقة لما جاء به النبي ﷺ ، بأن تُوقع العبادة على وفق ما جاء به النبي ﷺ .

الثاني : أن تكون خالصة لله عَزَّوَجَلَّ ، يعني أن تُنقى عن إرادةِ غير وجه الله بها .

الثالث: أن تكون العبادة مبنية على أساسٍ من العقيدة الصحيحة ، والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧]، قوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ دليل الشرط الأول والثاني ، لأن العمل لا يكون صالحاً إلا أن يكون موافقاً للسنة مُبْتغىً به وجه الله ﷻ، قوله: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ هذا دليل الشرط الثالث وهو أن تكون العبادة مبنيّةً على أساسٍ من العقيدة الصحيحة.

بيان أنواع العبادات

قال الشيخ رحمه الله: **{ فإن قيل، فما أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله ؟ قلت }** .

يعني إذا سُئِلتَ يا طالب العلم **ما أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله ؟ قلتَ** : أي جواباً على هذا السؤال : **{من أنواعها ، الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وذبحُ القربانِ، والنذرُ والخوفُ، والرجاءُ، والتوكلُ، والإنابةُ، والمحبةُ والخشية، والرغبة والرهبة، والتأله، والركوع، والسجود، والخشوعُ، والتذلل، والتعظيمُ الذي هو من خصائص الألوهية }** .

الشرح

قوله : **{ فإن قيل، فما أنواع العبادة }** المراد هنا العبادة الشرعية .

فالعبادة نوعان :

الأول العبادة العامة: وهي العبادة الكونية القدرية ، وهي الإذعان والانقياد والاستسلام لأحكام الله تعالى الكونية القدرية ، وهذه العبادة يدخلُ فيها المسلم والكافر والبر والفاجر ، كلهم تجري

عليهم أقدار الله ولا يستطيعون أن يفرّوا منها ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢]، فيُغني هذا ويُفْقِرُ هذا ويُمْرِضُ هذا ويشفي هذا ويُميتُ هذا ويُحي هذا ويُضْحِكُ هذا ويُبكي هذا ، فالكلُّ تجري عليهم أقدارُ الله ويجري عليهم ما كتبه الله تبارك وتعالى عليهم ، ودليل العبادة الكونية القدرية قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣].

الثاني العبادة الخاصة : وهي العبادة الشرعية، وهي الاستسلام والخضوع لأوامر الله الدينية الشرعية، الأوامر التي جاءت في الكتاب والسنة فمن استسلم لأمر الله الذي جاء في كتابه والذي جاء في سنة رسوله ﷺ هذا يكونُ قد عبدالله تبارك وتعالى العبادة الشرعية ، وهذه خاصة بأهل الإيمان ، والعبادة الشرعية الدينية أدلتها كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣]، فهؤلاء هم الذين

استجابوا لأمره سبحانه وتعالى الذي جاء في كتابه والذي جاء على لسانِ رسوله ﷺ .

قوله : { **فما أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله** } ولا يُفهَمْ من هذا أن بعض أنواع العبادة تصلحُ لغير الله ، وإنما قوله : { **التي لا تصلح إلا لله** } هذه صفةٌ كاشفة .

والصفةُ الكاشفة : هي وصفُ الشيء بما هو مُلازمٌ له ، أو هي كل قيدٍ أو وصفٍ جيء به لبيان الواقعِ والحال.

قوله{**لا تصْلُحُ إلا لله** } هذا وصف ملازم لها لا تنفك عنه ونظير ذلك قول الله ﷻ : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، هل لأحدٍ أن يقول إن الله حرّم البغيَ بغير الحق ، وأنا أبغي على الناسِ بحق؟ لا ، إنما هذا وصفٌ ملازمٌ للبغي، فواقع وحال كل بغيٍ أنه حصل بغير حق ، فقوله: ﴿ **بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** ﴾ ،هذا صفةٌ كاشفة لأنها وصفٌ ملازمٌ للبغي لأنه وصفٍ جيء به لبيان الواقعِ والحال ، وهذه كقوله ﷻ :

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، قوله :﴿ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ هذه صفة كاشفة لأنها وصفٌ ملازمٌ لكل من عبدَ غير الله ، فكل من عبد غير الله واقعه وحاله أنه عبد ذلك الغير بلا برهان وبلا حجة وبلا دليل ،وكذلك كقوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦] هل لأحدٍ أن يقول إن الله نهاني عن دعوة ما لا ينفعني ولا يضرني لكني أدعو زيدا أو عمرا فهو ينفعني ويضرني ؟ الجواب : لا ، فقوله : ﴿ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ ﴾ هذا وصفٌ ملازمٌ لكل أحدٍ سوى الله .

قوله : { **فما أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله** } قال : قلت: يعني جواباً على هذا السؤال : {**من أنواعها** }، (من) ، هذه للتبعيض، وضابطُ (مِن) التبعيضية هي التي تصحُّ أن تحل محلها بعض.

النوع : هو طائفةٌ من الشيء مماثلةٌ له ، والضمير في قولنا: (له) راجعٌ إلى الشيء ، والنوع أخص من الجنس ، ولذلك قلنا إن العبادة جنس تحته أنواع ، ولذا قال: {**من أنواعها ، الدعاء، والاستعانة،**

والاستغاثة...} ونصّ رحمه الله على هذه الأنواع دون غيرها ومثّل بها دون غيرها لأن الكثير من الناسِ صرفوها لغير الله سبحانه وتعالى ، وإلا فكل عبادةٍ لا يجوزُ صرفها لغير الله وصرفها لغير الله سبحانه وتعالى شركٌ بالله عز وجل وكذلك مثل الشيخ رحمه الله بهذه الأنواع على ما مضى من تعريف العبادة، لأن العبادة اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبهُ الله ويرضاه ، فكل ما ذكره الشيخ رحمه الله داخلٌ فيما يحبهُ الله ويرضاه، فنوّع رحمه الله فذكر لك عباداتٍ قولية ظاهرة وعبادات قولية باطنة، وعبادات عملية ظاهرة وعبادات عملية باطنة ، وعباداتٍ مركبة، قولية عملية، أو قولية عقدية أو قولية عملية عقدية ليعلم طالب العلم أن الشرك الذي هو صرفُ العبادة لغير الله قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل وقد يكون بالاعتقاد وقد يكون مركباً من كل هذه أو بعضها، فهذه الأنواع التي ذكرها رحمه الله إنما ذكرها تمثيلاً ، لا حصراً لأنه جاء بـ(مِن) التبعيضية، وهذه الأنواع ذكرها إجمالاً، ثم شرع في ذكرها على جهة التفصيل على طريق اللف والنشر المرتب .

اللّفُ لغة : هو الإجمال ، مِن لفّ الشيء إذا جمعه .

اصطلاحا : ذكر متعددٍ إجمالاً ،يعني أن تذكر شيئاً له أنواع إجمالاً .

والنشر لغة: المراد به التفصيل، نشر الشيء يعني بسطه وفرّقه، ومنه قوله تعالى :﴿ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨].

النشر اصطلاحاً :هو ذكرُ ما يتعلق بالمتعدد تفصيلاً .

وقد يكون اللف والنشر مرتباً إذا جاء بما يتعلق بالمتعدد على نفس الترتيب الذي ذكر به المتعدد إجمالاً ، وإن ذكر ما يتعلق بالمتعدد لا على نفس الترتيب الذي ذكر به المتعدد بالإجمال فهذا يُعرف باللف والنشر المشوّش .

مثلاً: قال : (**إذا قيل فما أنواع العبادة التي لا تصلحُ إلا لله ؟ قلتَ من أنواعها الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وذبحُ القربانِ... إلخ**)، فهذا اللف هو ذكر الشيء المتعدد إجمالاً، فهنا ذَكرَ المتعدد الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وذبحُ القربانِ... إلخ ،هذا يُعرف باللف، فإذا ذكر ما يتعلّق به على نفس الترتيب ، يعني في النشر، فذكر ما يتعلّق بالمتعدّد على جهة التفصيل مرتباً، بدأ بذكرِ ما يتعلّق بالدعاء ثم الاستعانة ...إلخ .

فهذا يكون من اللف والنشر المرتب ، لكن إذا جاء عند التفصيل ، مثلاً قال: (من أنواعها الدعاء)، ثم قال في التفصيل : (ودليلُ الخوفِ) بدأ بذكر الخوف ، فهذا لفٌ ونشرٌ مشوّش .

قبل الشروع في ذكر بعض العبادات وإيراد الأدلة على وجوب إفراد الله جل وعلا بها وأن جعلها لغير الله شرك لابد أن نعلم أنه يستدل على أنَّ جعل أي عبادة من العبادات لغير الله محرم وشرك من طريقين.

١-العام : وهو أن تأتي إلى النوع وإلى الفرد المذكور فتُثْبِت أن هذا النوع داخلٌ في حدِّ العبادة ،وذلك أن تأتي بدليلٍ يدلُ على أن الله أمرنا بهذا النوع أو أن الله جل وعلا أثنى على فاعليه ، أو أن الله جل وعلا رتب على فعله ثواباً أو على تركه عقاباً، فإذا أتيت بدليلٍ يدل على أن نوعاً معيناً قد أمر الله به ، أو أثنى على فاعليه ، أو أن الله جل وعلا رتب على فعله ثواباً أو على تركه عقاباً، هذا معناه أن هذا النوع داخلٌ في حدِّ العبادة ، فإذا ثبت دخول هذا النوع في حدّ العبادة بعد ذلك تأتي بالأدلة العامة التي تدلُّ على تحريم عبادة غير الله ، أو على تحريم جعل العبادة لغير الله كأن تأتي بقول الله تعالى :﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦] ، وبقوله: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾ [الزمر: ٦٦] و بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ [البقرة: ٢١] .

٢-الخاص: بأن نأتي بدليل خاص يخص كل عبادة على حِدَه يدل على أن جعلها لغير الله محرم وشرك بالله في عبادته.

الدعاء

قال الشيخ رحمه الله: { ودليل الدعاء، قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن :١٨] وقوله تعالى :﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد :١٤] }.

الشرح

الدعاء لغة : هو النداءُ المقرون بطلبٍ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ ﴾ [مريم: ١-٥] قال : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾ وقال :﴿ فَهَبْ لِى ﴾ ، فسمّى نداءهُ الذي قرنه بطلبِ الولد دعاءً ، قال: ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا }، وقال تعالى عن نوح ﷺ ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ

فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء:٧٦] ، وقال في أخرى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ [القمر:١١] ، فسمى نداء نوح الذي قرنه بطلب دعاءً .

شرعا : هو نداءُ الله تعالى المقرون بطلب جلبِ منفعة أو دفعِ مضرة، هذا عبادة كونك تسأل الله أو تنادي ربك نداءً مقروناً بطلبٍ ليجلب لك نفعاً أو يدفع عنك ضُرّاً ، هذه عبادة محبوبة لله ﷻ، والدليل على أن الدعاء عبادة أن الله جل وعلا أمر به، لأن العبادة ما أمر الله به من غير اقتضاءٍ شرعي ولا اطرادٍ عُرفي .

قوله: **{ ودليل الدعاء، قوله تعالى }** يعني والدليل على أن الدعاء عبادة من جملة العبادات التي لا تصلحُ لغير الله، وأن جعلها لغير الله مُحرّمٌ وشركٌ ، قال : قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨].

ونستدل على أن الدعاء عبادة وأن جعله لغير الله شرك من طريقين.

الأول عام: بأن نثبت أن الدعاء عبادة، فإذا ثبت كونه عبادة أوردنا الأدلة العامة المحرمة لعبادة غير الله، فالدعاء عبادة لأن الله أمر

به قال الله ﷻ: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٢]، وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠]، وقال النبيُّ ﷺ كما في حديثِ ابن عباسٍ رضي الله عنه عند الترمذي: «إذا سألت فاسأل الله»[1] الحديث.

فثبت بهذه الأدلة أن الله أمر بدعائه إذن هو يحبه ويرضاه وهذا يعني أن الدعاء داخل في حد العبادة ونوع منها، فبعد هذا نأتي بالأدلة العامة التي تدل على تحريم عبادة غير الله كقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]، وبقوله: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٦] و بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء: ٢٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٢٦٦٩) والترمذي برقم (٢٥١٦).

الثاني الخاص: بأن نورد الأدلة الخاصة بتحريم دعاء غير الله، والشيخ هنا أتى بالدليل وهو قوله تعالى :﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن:١٨].

المساجد لها معنيان في هذه الآية :

الأول : المواضع المُعّدة للصلاة، وعلى هذا يكون معنى الآية وأن هذه المساجد التي هي المواضع المُعّدة للصلاة لطالما أنها لله مِلْكاً واختصاصاً فإنه يجبُ أن تُطهّر من الشرك بأن لا يُعبد فيها إلا الله .

الثاني : هي الأعضاء التي يُسجد عليها ، فهذا لله خلقاً وملكاً فالواجبُ أن لا نسجُدَ بها لغيره ، وأن لا نذل بها لأحدٍ سواه ﷻ .

والقاعدة في التفسير : أن الآية إذا فُسّرتْ بتفسيرين وليس بينهما تعارض فإن الآية تُحمل عليهما جميعاً .

فهذه المساجد التي هي بيوت الله يجبُ أن تُطهّر من الشرك، وأن يُدعى فيها إلى التوحيد وأن لا يُعبد فيها غير الله .

قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾: ﴿ لَا ﴾ ناهية، و﴿ تَدْعُوا۟ ﴾ فعلٌ مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه

حذف النون، والأصل في النهي التحريم، قوله : ﴿ أَحَدًا ﴾ نكرة مسبوقة بالنهي تفيد العموم، إذا حرّم الله علينا أن ندعو معه أحداً غيره فيحرُم علينا بنصِّ هذه الآية أن ندعو مع الله نبياً ، أو أن ندعو مع الله ملكاً ، أو أن ندعو مع الله رسولاً أو إنساً أو جناً أو ولياً أو صالحاً أو ساحراً أو كاهناً أو قبراً أو ضريحاً أو صنماً أو حجراً أو شمساً أو قمراً ، فلا يجوز أن ندعو مع الله أحدا، ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ يعني عليكم أن تُفرِدوا الله بدعائكم ، وهذه الآية دليلٌ على تحريم دعاء غير الله كائناً من كان ، لأن دعاء غير الله من الشرك .

دعاء غير الله نوعان : شركي و جائز .

الدعاء الشركي : هو نداء غير الله المقرون بطلب جلبِ منفعةٍ أو دفع مضرةٍ لا يقدرُ عليها إلا الله ، أو هو نداء غير الله المقرون بطلب أمرٍ لا يقدرُ عليه إلا الله .

فإذا دعا العبد غير الله ، أي نادى غير الله نداءً قرنه بطلب أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله ، كأن يقول : (يا رسول الله اغفر لي ذنبي) فهذا شرك لأنه نادى غير الله وطلب منه أمراً لا يقدر عليه إلا الله .

الدعاء الجائز : هو نداءُ غيرِ الله من حيٍّ حاضرٍ المقرون بطلبِ أمرٍ يقدرُ عليه ، كأن تقول يا فلان وهو أمامك ويسمعُ كلامك اعطني ماءً ، هذا نداءٌ مقرون بطلب أمرٍ في مقدور هذا العبد .

قال : { **وقوله** : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ } : يعني : الدعاء الحق .

الدعاء الحق : هو ما تُوُجِّهَ به لله وحده، أما ما تُوُجِّهَ به لله ولغيره هذا ليس لله وحده ، هذا لغير الله لذلك قال تعالى في الحديث القدسي :« أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»[1].

قوله : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ : قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر والقصر، ما قال (دعوة الحق له) بل قال : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ ومعناه أن الواجب على العباد أن يُفردوا الله بدعائه، أن يدعوا الله وحده .

وكلُّ حصرٍ وقصر فهو بمنزلة الأمر والنهي، وهذه الآية تفيدنا أن الدعاء خاصٌ بالله، محصورٌ ومقصورٌ عليه، كأنه قال : (ادعوني ولا تدعو غيري)، فهذه الآية فيها دليل على تحريم دعاء غير الله فالذي

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٨٥).

يدعو غير الله ما تقيّدَ بهذا الحصر والقصر الذي ذكره الله في هذه الآية، وتحريم دعاء غير الله في هذه الآية مستفادة من وجهين :

الأول : قوله : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ ومعناها : ادعوني ولا تدعو غيري .

الثاني : قوله : ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ ، فأضاف دعاء غير الله ﷻ للكافرين ، وكل عملٍ نُسِبَ للكفار ،أو نُصِبَ سبباً للكفر فهو محرّم .

قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾، فـ﴿ شَيۡءٍ ﴾ نكرة في سياق النفي تفيد العموم، ونكَّر شيئا في قوله ﴿ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ للتحقير، والمراد أنهم لا يستجيبون لهم أية استجابة حتى ولو كانت في شيء حقيرٍ.

قوله : ﴿ يَسۡتَجِيبُونَ ﴾ فعل مضارع ، وهذا ليفيد أن النفيَ هنا نفيٌ مستمر، ﴿ بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ ﴾ يعني إلا إنسانا بسط كفيه وأصبح ينادي الماء حتى يبلغ فاهُ ، و هذا من التعليق بالمستحيل، يعني أن هذا الأمر لا يحصل أبداً، لأن الله قال :

﴿ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ ثم قال : ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾، فدلّ على أن من دعا غير الله كان ضالاً كافراً ومن الأدلة على أن دعاء غير الله شرك قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، فإن فعلت بأن دعوت غير الله تطلب منه جلب نفعٍ أو دفعِ ضُرٍ لا يقدر عليه إلا الله قال: ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، يعني من المشركين .

وقوله : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، فحكم بكفرهم.

وقوله : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٤]، فسمى دعاءهم لغير الله شركاً.

الاستعانة

قال الشيخ رحمه الله:{ **ودليل الاستعانة قوله تعالى :** ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٥]}.

الشرح

الاستعانة لغة: هي طلب العون .

وشرعا : هي نداء الله المقرون بطلبِ العون.

الاستعانة بغير الله نوعان:

١ ـ استعانة شركية : هي نداءُ غير الله المقرون بطلبِ عونه في أمرٍ لا يقدرُ عليه إلا الله .

٢ـ استعانة جائزة : هي نداءُ غير الله من حيٍّ حاضرٍ المقرون بطلبِ عونه في أمرٍ جائزٍ يقدرُ عليه .

قولنا : (في أمر جائز) أخرج الإعانة على المحرمات، لأن الإعانة على المحرمات محرمة .

قوله : **{ ودليل الاستعانة }** : أي : والدليل على أن الاستعانة عبادة لا تصلُح لغير الله وأن جعلها لغير الله مُحرّمٌ وشركٌ بالله ﷻ ، قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

فنستدل بدليلين عن أن الاستعانة عبادة لا تجوز أن تُجعل لغير الله.

الأول العام : أن نُثبِتْ أن الاستعانة عبادة فإذا ثبت كونها عبادة نأتي بالأدلة العامة الدالة على تحريم جعل العبادة أو جعل شيء منها لغير الله ﷻ والدليل على أن الاستعانة عبادة أن الله أمر بها قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وفي الحديث : « وإذا استعنت فاستعن بالله »[1] الحديث ، فإذا ثبت أن الاستعانة عبادة فجعلها لغير الله مُحرّمٌ وشركٌ بالله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦] وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٢٦٦٩) والترمذي برقم (٢٥١٦) .

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء: ٢٣].

الثاني الخاص : قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ والشاهد قوله﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وهذه جملة فيها حصرٌ وقصرٌ، ووجه الحصر والقصر هو تقديم ما حقه التأخير .

قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الواو عاطفة ، و﴿ إِيَّاكَ ﴾ ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدّم، و(الكاف) في ﴿ إِيَّاكَ ﴾ ضمير خطاب لا محل له من الإعراب .

و﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ فعل مضارع مرفوع لتجردّه عن الناصب والجازم، وفاعله ضمير مستتِر وجوباً تقديره نحن، فقدم المفعول على الفعل والفاعل، والأصل أن يأتي الفعل ثم المفعول .

قال : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وهذا لإفادة الحصر والقصر، وهي منزلة منزلة الأمر والنهي، فهو بمعنى : (استعينوا بي ولا تستعينوا بغيري ، استعينوا بي وحدي وأفردوني باستعانتكم) فدل هذا على أن الواجب أن نَحْصُرَ الاستعانة ونُقْصرها على الله.

الاستغاثة

قوله : { ودليل الاستغاثة، قوله تعالى :﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] } .

الشرح

الاستغاثة لغة: طلب الغوث.

وشرعا: هي نداء الله المقرون بطلبِ الغوث ،يعني بطلب إزالة الشِدّة، فهي دعاء خاص ونداء خاص، دعاء ونداء مضطر ومكروب.

والاستغاثة بغير الله نوعان : شركية وجائزة .

الاستغاثة الشركية : هي نداءُ غير الله المقرون بطلبه إزالة الشِدّة في أمرٍ لا يقدرُ عليه إلا الله .

الاستغاثة الجائزة : هي نداءُ غير الله من حيٍّ حاضرٍ المقرون بطلبِه إزالة الشِدّة في أمرٍ يقدرُ عليه.

فلا يُنجي من الكروبِ إلا الله قال تعالى :﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٣] ،قال ﷻ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٤] ، وهذه الآية فيها حصرٌ وقصر، ووجهه أن الله جل وعلا قدّم المسند إليه على الخبر الفعلي،

وأصلها في غير القرآن (ينجيكم الله) أسندنا النجاة لله وحده، إذا لفظ الجلالة (الله) مُسند إليه، والنجاة مسند فقدمنا المسند إليه على المسند الفعلي، أو على الخبر الفعلي لإفادة الحصر والقصر، يعني أنه لا مُنّجي من الكروب إلا الله ﷻ .

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]، قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٣/ ١٧٤) : (فتراه جل وعلا في هذه الآيات الكريمات جعل إجابة المضطر إذا دعا وكشف السوء عنه من حقه الخالص الذي لا يشاركه فيه أحد).

وقال رحمه الله في (٧/ ٤٠٥) : (فهذه المذكورات التي هي إجابة المضطر إذا دعا، وكشف السوء وجعل الناس خلفاء في الأرض من خصائص ربوبيته - جل وعلا- ولذا قال بعدها ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾).

قوله : **{ ودليل الاستغاثة }** : يعني والدليل على أن الاستغاثة عبادة وأنها لا تصلُح لغير الله ﷻ وأن جعلها لغير الله مُحرّمٌ وشركٌ بالله ﷻ، قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] .

ونستدل على أن الاستغاثة عبادة وأن جعلها لغير الله شرك من طريقين:

الأول العام: بأن نثبت الاستغاثة عبادة، فإذا ثبت كونها عبادة أوردنا الأدلة العامة المحرمة لعبادة غير الله.

فنقول إن الاستغاثة عبادة لأن الله تعالى أثنى على فاعليها فقال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩]، وقال: ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [الأحقاف: ١٧]، فثبت بهذا أن الاستغاثة عبادة، لأن كل ما أثنى الله على فاعليه داخل في حد العبادة، وما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله لا يجوز قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦] وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء: ٢٣].

والثاني الخاص: وهو قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] ، فأثبتَ أن الاستغاثة تكونُ بالربِّ .

والموجود قسمان : ربٌّ ومربوب .

فالربُّ : هو الله.

والمربوب : كل من سوى الله .

إذاً الاستغاثة تكون بالله ولا تكون بغيره ﷻ .

وجاء من حديث أنس رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»[1]، فمن هدي النبي ﷺ أن الذي يدعى لكشف الكروب هو الحي القيوم فدل هذا على أن الاستغاثة تكون بالله ولا تكون بغيره لأن هذه الصفة ليست لغيره سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٢٤).

الـذبـح

قال رحمه الله: { ودليل الذبح قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٣] }.

الشرح

الذبح لغة : القطع أو الشق.

وشرعا: هو إراقة دماء الأنعام على وجهٍ مخصوص تقرّباً لله عز وجل

قولنا : (على وجهٍ مخصوص) : يعني على الطريقة والصفة الشرعية .

والذبح الشركي : هو إراقة دماء الأنعام تقرّباً لغير الله عز وجل، وهذا شركٌ لأنه جعل حق الله لغيره، فالعبادة حق الله، والشرك ظلمٌ لأنه وضعٌ للعبادة في غيرِ موضعها، وجعلٌ لها لغيرِ مستحقها .

قوله : **{ ودليل الذبح }** : يعني والدليل على أن الذبح عبادة وأنها لا تصلُح لغير الله عز وجل وأن جعلها لغير الله مُحرّمٌ وشركٌ بالله عز وجل ، قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] .

ونستدل على أن الذبح عبادة وأن جعله لغير الله محرم وشرك بدليلين.

الأول العام: بأن نُثبِت أن هذا الذبح عبادة، فإذا ثبت أن الذبح عبادة أوردنا الأدلة العامة على أن عبادة غير الله لا تجوز .

فالذبح عبادة لأن الله أمر أن يكون له قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]، فإذا ثبت أن الذبح عبادة وأن جعله لغير الله لا يجوز.

وما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله لا يجوز قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] ، وقال سبحانه: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[الإسراء: ٢٣].

الثاني الدليل الخاص: وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

والمأمور هنا هو النبيُّ ﷺ ، أمره الله جل وعلا أن يُصرح بهذا ، وهذا شاملٌ لقول القلب وقول اللسان، أي : قل بلسانك معبراً عما انطوى عليه قلبك .

قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ ﴾ فجاء بـ(إنّ) الدالة على التوكيد، و﴿ صَلَاتِي ﴾ مفرد مضاف يفيد عموم الفرض والنفل، و﴿ وَنُسُكِي ﴾ كذلك نُسك مفرد معرّف بالإضافة يُفيد عموم الذبائح التي تقع على جهة التعّبد، من ذبيحة أُريد بها العقيقة، أو أُريدَ بها الهدي، أو أُريدَ بها النذر، أو أُريدَ بها مطلق التقرّب لله ﷻ ، قوله : ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ يعني ما أحيا عليه من الإيمان والعمل الصالح ، وما أموتُ عليه من الإيمان والعمل الصالح ، قوله : ﴿ لِلَّهِ ﴾: اللام للاستحقاق ، يعني تلك العبادات مستحقةٌ لله ﷻ قوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هذا تعليلٌ لاستحقاقه ﷻ ، أن تكون أعمال العباد كلها له لا لغيره ، لأنه ليس لغيره عليهم نعمة خلْقِهم ، ولا نعمة رزقهم ، ولا نعمة تدبير أمورهم، فكل ذلك لله فلذا استحق أن يُعْبد ، فالذي يُعبد هو ربهم ﷻ وحده الذي ما من نعمةٍ هم عليها إلا وهي منه ، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] ،

قوله : ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ ، ﴿ لَا ﴾ نافية ، و﴿ شَرِيكَ ﴾ نكرة في سياق النفي تُفيد العموم، لا شريك له من الملائكة، ولا شريك له من الأنبياء، ولا شريك له من الأولياء، ولا شريك له من الصالحين، و لا شريك له من السحرة، ولا شريك له من الكهنة، ولا شريك له من القباب، ولا شريك له من القبور، ولا شريك له من الأضرحة ،﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ في عبادته، كما أنه لا شريك له في ربوبيّته، ولا شريك له في الخلق، ولا في الرزق ولا في الملك .

قوله : ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ وهذه إشارة إلى إخلاص الدين لله، إشارة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى إفراده ﷻ بالعبادة، يعني أنّ نبيّنا ﷺ أُمرَ أن يعبد الله وحده لا يُشرِكْ به كما بيّنَ الله ﷻ ذلك في غير ما آية، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزمر: ١١] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] ، قوله : ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

يعني من هذه الأمة ، فهو أول أمتهِ إسلاماً قوله : ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فيها إشارة إلى معنى الإسلام ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] ، فهذه الآية فيها بيان ملة إبراهيم التي هي الاسلام وهي التوحيد ، لأن قبلها ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١]، ما الطريق إلى أن يخرج الإنسان من المشركين؟ بإخلاص الدين وإخلاص العبادة لله ﷻ ولذلك قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فقوله :﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فيها معنى الإسلام لأن معنى الإسلام أن تُحقق ملة إبراهيم التي هي الإقبالُ على الله بجميع أنواع العبادات والإعراض عن كل ما سوى الله، قال الله تعالى عن إبراهيم ﷺ :﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١]، فإسلامُ وجهك لله وإسلامك لله أن تجعل عبادتك كلها لله وحده لا شريك له.

والشاهد في الآية قوله : ﴿ وَنُسُكِي ﴾ أي نسكي لله وحده لا شريك له.

فالذبح كما مرَّ هو إراقة دماء الأنعام على وجهٍ مخصوص تقرباً هذا يجب أن يكون لله وحده ، أما من أراق دماء الأنعام تقرباً للجن أو تقرباً للشياطين، أو تقرباً لمن يسمونهم بالأولياء، أو تقرباً للقبور فهذا شركٌ، فالذبح عبادة من جملة العبادات التي يجبُ أن تُجعل لله ﷻ وحده لا شريك له ، قال النبي ﷺ «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله »[1] الحديث، فالواجبُ أن تكون ذبائحنا التي تقعُ منا على جهة التقرب لله ﷻ كالأضاحي والهدي والنذور وكالعقيقة ، وكالتقرّب لله ﷻ بإراقة هذه الدماء ، هذا حقُّ الله وحده لا شريك له، والذبح من العبادات العملية فهذا هو الذي أراده الشيخ رحمه الله.

أما الذبح لإكرام الضيوف فهذا مستحب ، والذبح للتجارة جائز ، وإنما عنى الشيخ هنا الذبائح التي تكون على جهة القربان هذه لا تكون إلا لله ، فمن جعلها لغير الله ﷻ فقد أشرك غير الله بالله في عبادته .

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٧٨).

النذر

قال رحمه الله: {وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧] }.

الشرح

النذر لغة: الإيجاب.

وشرعا: هو إيجاب المكلّف على نفسه عبادة لم تجب عليه بأصل الشرع.

كأن يقول : (لله عليَّ إن شفى الله مريضي ، أو إن ردّ الله غائبي أن أذبح له نسيكة)، فهذا نذرٌ وهذا ما يُعرف بالنذر المعلّق ، أو النذر المقيّد لأنه عُلِّق وقُيِّدَ بشرط، أو كأن يقول لله عليَّ صيام يومين، ولله عليَّ صدقة بألف درهم، وهذا ما يعرف بالنذر المطلق لأنه لم يعلق أو يقيَّد بشيء، وعلى هذا فالنذر نوعان مطلق ومقيّد.

١ـ النذر المقيّد أو (المعلّق): هو إيجاب المكلف على نفسه عبادة لم تجب عليه بأصل الشرع مقابل شيء يحدثه الله له كأن تقول : (لله عليَّ إن شفى مريضي أن أذبح بقرةً) .

٢ـ النذر المطلق: هو إيجاب المكلف على نفسه عبادة لم تجب عليه بأصل الشرع بدون مقابل شيء يحدثه الله له كأن تقول: (لله عليَّ أن أصوم ثلاثة أيام، من غير تقييدٍ أو اشتراط) .

والنذر الشركي : هو أن يوجب المكلّف على نفسه شيئاً لغير الله، كأن يقول لأحد الناس : (لك عليّ إن شفيت مريضي أو إن رددت غائبي أن أذبح لك نسيكة) ينذر بهذا النذر لقبرٍ أو لوليٍّ أو لنبيٍّ أو لملكٍ أو لجنٍ أو لإنسٍ ، وكأن يقول لأحد الأولياء :(لئن خرج الطفل الذي في بطن زوجتي سليماً فلك عليّ كذا) فينذر بشيء من المال أو شيء من الدماء ، أو شيء من الهدايا من النذور هذا هو الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قوله: **{ وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى }** يعني والدليل على أن النذر عبادة من العبادات التي لا تصلح لغير ﷻ وأن جعلها لغير الله ﷻ محرّمٌ وشرك قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾.

ويستدل على أن النذر عبادة ولا يجوز جعله لغير الله بطريقين.

الأول العام: أن نثبت أن النذر عبادة فإذا ثبت كونه عبادة أوردنا الأدلة العامة التي تدل على تحريم عبادة غير الله، فالنذر عبادة

بدليل قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، هذه الآية دلت على أن النذر عبادة من وجهين :

الأول : أن الله جل وعلا قرنه بالنفقة، والنفقة من العبادات، وهذا ما يُعرف عند العلماء بدلالة الاقتران .

ودلالة الاقتران : هو أن يُجمع بين شيئينِ أو أكثر ثم يُبيّن حكم أحدهما فيستدل بالاقتران على ثبوت ذلك الحكم للآخر .

قال : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾، والنفقة عبادة قرنها الله في الذكر بالنذر فيثْبُت للنذر حكم الإنفاق ، فالإنفاق عبادة والنذر عبادة بدلالة الاقتران .

الثاني : أن الله قال :﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ وعِلْمُهُ هنا علم مجازاة ، يعني وأن الله سيجازيكم ويُثيبكم عليه، وما رتّب الله جل وعلا على فعله ثواباً فهو داخلٌ في حدِّ العبادة ، فثبت أن النذر عبادة من العبادات، فإذا ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله شركٌ ولا يجوز لعموم الأدلة الدالة على وجوبِ إفراد الله بالعبادة وترك عبادة من

سواهُ قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء: ٣٦] قال سبحانه: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦] وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[الإسراء: ٢٣].

الثاني الخاص: فإن قيل فما دليل النذر الخاص؟ قلت لا أعلم فيه دليلا خاصا ويُكتفى في مثل هذه الحالة بالدليل العام، وهذه هي فائدته وهنا تظهر الحاجة إليه.

الخوف

قال رحمه الله: { وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]}

الشرح

الخوف لغة : الذعر والفزع.

وشرعا: ثلاثة أنواع.

الأول: الخوف من الله هو قلق القلب واضطرابه من الله بتوقع هلاك أو ضرر أو عذابٍ منه .

الثاني : الخوف الطبيعي هو قلق القلب واضطرابه من غير الله بتوقع هلاك أو ضرر أو أذىً يقدر عليه المخلوق ، كأن يخاف أسداً أو ثعباناً أو نحوها وهذا جائز مالم يؤدِ إلى ترك واجب أو فعل محرم لقوله تعالى عن نبيه موسى ﷺ لما رأى الحية ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ [طه: ٦٧]، وقال تعالى مبينا خوفه من فرعون ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ [الشعراء: ٢١]، وقال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ

رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١]، وكقوله :﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ص: ٢٢].

الثالث : الخوف الشركي(خوف السر) وهو قلق القلب واضطرابه من مخلوق بتوقع ضرر أو هلاك لا يقدر عليه إلا الله ، مثل أن يخاف من أحد أن يُصيبهُ بعُقْمٍ أو أن يُنزل به مرضاً ،أو أن يعمي بصره، أو أن يمنع عنه الرزق وغيرها ، هذا خوفٌ شركي.

قوله: (**وَدَلِيلُ الخوف: قَوْلُهُ تَعَالَى**) يعني والدليل على أن الخوف عبادة من العبادات التي لا تصلح لغيرﷻ وأن جعلها لغير الله ﷻ محرّمٌ وشرك قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ﴾ ، الخوف عبادة من العبادات القلبية، والشيخ رحمه الله نوّعها، كما ذكرنا وكأنه يشرح تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للعبادة بهذه الأمثلة، (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)، فالخوف عبادة قلبية لأنه من العبادات الباطنة ، والعبادات العملية الباطنة هي عبادة القلب .

ونستدل على أن الخوف عبادة لا يجوز جعلها لغير الله وأن جعلها لغير الله شرك بدليلين.

الأول العام: بأن نثبت أن الخوف عبادة فإذا ثبت أنه عبادة أوردنا الأدلة العامة المحرمة لعبادة غير الله قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ فدلت هذه الآية على أن الخوف عبادة من وجهين:

الأول : أن الله أمر به قال : ﴿ وَخَافُونِ ﴾ وكل ما أمر الله به فهو داخلٌ في حدّ العبادة .

الثاني : أن الله جل وعلا جعله شرطاً في الإيمان، وكل ما جُعِلَ شرطاً في الإيمان فهو مأمورٌ به وهو داخلٌ في حدِّ العبادة .

قال : ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾، فجعل الخوف منه ﷻ شرطاً في الإيمان، فإذا ثبت أن الخوف عبادة فإنه لا يجوز أن يُجعل لغير الله، للأدلة العامة الدالة على منع جعل العبادة لغير الله، والمُبيّنة أن جعل العبادة لغير الله محرّمٌ وشركٌ بالله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[قريش: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] .

الثاني الخاص: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ يعني يخوفكم أيها المؤمنون ، من أوليائه، أولياءُ الشيطان الذين هم طواغيت الأرض، قوله ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾، فـ﴿ لَا ﴾ ناهية، والنهي للتحريم فدلت الآية على تحريم خوف غير الله ﷻ، قوله ﴿ وَخَافُونِ ﴾ هذا فعل أمرٍ، والأصل في الأمر الوجوب، والأمر بعد النهي يجري مجرى الحصر والقصر .

فالحصر : هو إثبات الحكم للمذكور ونفيهُ عمّا عداه فقوله : ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ** ﴾ معناها : خافوني وحدي ولا تخافوا أحداً غيري، وهذا كقوله : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ تساوي ﴿ **وَخَافُونِ** ﴾ و قوله: ﴿ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ تساوي ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمْ** ﴾ فهذه الآية دليلٌ واضحٌ على أنه يحرمُ على الإنسان أن يخاف غير الله خوف السر، الخوف الذي سببه أن أحداً غير الله يجلب لك نفعاً أو يدفعُ عنك ضُرّاً دون مباشرةِ اسبابٍ ظاهرة، كما هو حاصل الآن أن الكثير من الناس يخافون السحرة ويخافون الموتى ويخافون من الكهّان أن يُصيبوهم بأمورٍ لا يقدر على الإصابة بها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا خوفٌ شركي، ولذلك على المسلم الذي أراد نجاة نفسه وأراد نصحها أن يتعلم افراد العبادة فلا يجعل ما لله عَزَّ وَجَلَّ لغيره بل يُخلِص دينه لله عَزَّ وَجَلَّ .

الــرجـاء

قال الشيخ رحمه الله: { وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] } .

الشرح

الرجاء لغة: الأمل.

وشرعا: هو تعلّق القلب بالله وانتظار وترقُّب رحمته في حصول أمرٍ مرغوب أو دفع أمرٍ مرهوبٍ مع بذل الأسباب .

هذه هي حقيقة الرجاء الشرعية، فهو عبادة قلبية، ومما يُجلّي لك هذا المعنى أن الله جل وعلا قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة:٢١٨] فهؤلاء تعلقت قلوبهم بالله سبحانه وتعالى، وانتظروا وترقبوا رحمته مع أخذهم بالأسباب ، ومما يُجلّي لك حقيقة الرجاء ما ذكره ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي قال : (وسر المسألة ان الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله

في شرعه وقدره وثوابه وكرامته فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه أن لا يكله إليها وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه ويصرف ما يعرضها ويبطل أثرها)[1] ، بعد ذلك يأتي بالأسباب ويحصل منه حسن الظن بالله ويحصل منه التعلق بالله ويحصل منه الانتظار والترقب لرحمة الله ، قال (ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه أن لا يكله إليها) أي إلى هذه الأسباب ، وأن يجعل هذه الأسباب موصلة إلى ما ينفعه، قال : (ويصرف ما يعرضها ويبطل أثرها) يصرف عنه مضادات تلك الأسباب أو يصرف عنه ما يبطل أثر هذه الأسباب، وقال أيضاً: (فصل: ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور:

أحدها : محبته ما يرجوه.

الثاني : خوفه من فواته .

الثالث : سعيه في تحصيله بحسب الإمكان .

---

(١) الجواب الكافي صـ ٩٣ ط مكتبة ابن تيمية .

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني والرجاء شيء والأماني شيء آخر فكل راج خائف والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات)[1]، وهذا معناه أن يأتي بالأسباب التي توصله إلى مراده ، إذاً من أراد شيئاً وتعلق قلبه بالله في حصوله ، فإنه لا بد له من بذل الأسباب الموصلة إليه.

وأما الرجاء الشركي : فهو تعلّق القلب بغير الله وانتظاره في حصول أمرٍ مرغوب أو دفع أمرٍ مرهوبٍ لا يقدر عليه إلا الله .

من فعل هذا فقد صرف هذه العبادة لغير الله ﷻ ووقع في الشرك بالله ﷻ.

قوله : **{ وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ }** يعني والدليل على أن الرجاء عبادة لا تصلح لغير الله ﷻ وأن جعلها لغير الله ﷻ محرّمٌ وشرك، ويستدل على أن الرجاء عبادة لا يجوز جعلها لغير الله من طريقين.

الأول العام: بأن نثبت أن الرجاء عبادة فإذا ثبت أنه عبادة أوردنا الأدلة العامة التي تدل على تحريم عبادة غير الله قال الله ﷻ :

---

(١) الجواب الكافي صـ ٩٤ ط مكتبة ابن تيمية .

﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [النساء: ١٠٤]، وهذا ذكره الله مُثنياً به عليهم وهذا يدل على أن الرجاء عبادة ، لأن كل ما أثنى الله جل وعلا على فاعليه فهو داخلٌ في حدّ العبادة ، وقال الله ﷻ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة: ٦]، فإذا ثبت بهذه الأدلة أن الرجاء عبادة فيجبُ أن يُجعل لله وحده للأدلة العامة الدالة على إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه كقوله : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣] .

الثاني الخاص: قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] ، الذي أوحاه الله إليه قوله ﴿ أَنَّمَآ

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ ، وهذا هو الأخذ بالأسباب ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ ويقارنه ترك الشرك : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ وهذا هو الشاهد ، لطالما أن الرجاء عبادة من العبادات فالله جل وعلا نهانا أن نجعل شيئاً من العبادات لغيره .

قوله : ﴿ أَحَدًۢا ﴾، فـ﴿ أَحَدًۢا ﴾ : نكرة في سياق النهي تفيد العموم ، لا يُشرك في العبادة عموماً وفي الرجاء خصوصاً ، بل يُخلص رجاءه ويُخلص جميع أنواع عبادته لله وحده لا شريك له ، فلا يجعل لله شريكاً في عبادته ، لأن العبادة لا تصلح إلا لله وحده لا شريك له .

قال : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾، فيها بيانٌ لقُبحِ عمل المشرك فإنه عدل المربوب بربه ﷻ، عدَل من لا يجلب له نفعاً ولا يدفع عنه ضُراً ومن لم ينفعه مثقال ذرة ، بمن ما من نعمة على العبدِ إلا منه ﷻ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال الله ﷻ : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠] .

التوكل

قال الشيخ رحمه الله:{ **ودليل التوكل قوله تعالى :** ﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾** ﴾[**المائدة:١١**] }.

الشرح

التوكل لغة: الاعتماد على الغير.

وشرعا : هو اعتماد القلب على الله وتفويض الأمر إليه في جلبِ المنافع ودفع المضار مع الثقة به وبذل الأسباب الشرعية أو القدرية، هذه هي حقيقة التوكل .

التوكل الشركي : هو اعتماد القلب على غير الله وتفويض الأمر إليه في جلبِ المنافع ودفع المضار، فمن كان على هذا فقد جعل هذه العبادة لغير الله سبحانه وتعالى .

قوله : (**ودليل التوكل**) يعني والدليل على أن التوكل عبادة وأنه لا يصلُح لغير الله وأن جعله لغير الله شركٌ بالله عز وجل هو قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.

ويستدل على أن التوكل عبادة لا يجوز جعلها لغير الله بدليلين.

الأول العام: بأن نثبت أن التوكل عبادة فإذا ثبت كونه عبادة أوردنا الأدلة العامة الدالة على تحريم جعل العبادة لغير الله قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[المائدة:١١] وهذا فعلٌ مضارعٌ مقرونٌ بلام الأمر وهو من الصيغ الصريحة الدالة على الوجوب ، فأمر الله ﷻ عباده المؤمنينَ بالتوكل عليه فدلّ ذلك على أن التوكل عبادة وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] فأمر الله جلّ وعلا بالتوكل عليه وجعله شرطاً في الإيمان فدل ذلك على أن التوكل عبادة وإذا ثبت أنه عبادة فلا يجوز أن يُجعل لغير الله للأدلة العامة الدالة على تحريم عبادة غير الله كقوله : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [قريش: ٣] .

الثاني الخاص: قال الله ﷻ ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة:١١]، وفي أُخرى قال : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم

مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، فقدم الجار والمجرور على الفعل والفاعل لإفادة الحصر والقصر فدلّ على أن التوكل محصورٌ ومقصورٌ على الله لا يجوز أن يُجعل لغيره.

الإنـــابـة

قال الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ: { **ودليل الإنابة قوله تعالى :** ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر: ٥٤].}

الشرح

الإنابة لغة: الرجوع.

وشرعا: هي الرجوع من الكُلِّ إلى من له الكُل ، أو الرجوع في الكُلِّ إلى من له الكُل ،يعني أن يُرجع في كلّ شيء إلى من له كل شيء ، إلى المالك لكل شيء ، فهذه هي حقيقتها.

الإنابة الشركية : هي الرجوع إلى غير الله في أمرٍ مختصٍ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن فعل هذا فقد جعلَ هذه العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأشرك بالله في عبادته، فمن رجع إلى غير الله في أمرٍ مختصٍ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقد صرف هذه العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ ، كمن يرجعون إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ في حالِ توبتهم، كما هو موجود عند المتصوّفة ، وعند النصارى الذين يذهبون

إلى القساوسة ، (يُنيبون إليهم) يعني يرجعون إليهم في مغفرة ذنوبهم، وهذه أيضاً من العبادات القلبية التي يجبُ أن تُصرف لله.

قوله (**ودليل الإنابة**) : يعني والدليل على أن الإنابة عبادة وأنها لا تصلُح لغير الله ، وأن جعلها لغير الله محرمٌ وشركٌ بالله ﷻ، ويستدل على أن الإنابة عبادة وأن جعلها لغير الله لا يجوز بدليلين.

الأول العام: بأن تثبت أن الإنابة عبادة فإذا ثبتت أنها عبادة أوردنا الأدلة العامة الدالة على تحريم عبادة غير الله قال تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ هذا هو الشاهد، فالله جل وعلا أمر عباده أن يُنيبوا إليه ﷻ، قال : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾، فدل هذا على أن الإنابة عبادة، لأن الله جل وعلا أمر بها، وكل ما أمر الله به فهو داخلٌ في حدِّ العبادة، وإذا ثبت بذلك أن الإنابة عبادة فجعلها لغير الله ﷻ محرّم وشركٌ بالله ﷻ للأدلة العامة الدالة على إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه كقوله :﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ

وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣] .

الثاني الخاص: وهذه الآية فيها دليلٌ خاصٌ، فإن الله أمر بالإنابة إلى الربِّ ﷻ، والموجود قسمان ربٌ ومربوب ، فالمربوب لا يستحق العبادة ولا شيئا منها ، والربُّ واحدٌ هو الذي يستحق العبادة كلها ولذلك الله قال في مطلع سورة البقرة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١]، وهنا قال : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ ، فالإنابة تكونُ لواحدٍ وهو الربُّ ﷻ وكل ما سوى الله فهو مربوب ،إذاً لا يُنابُ لأحدٍ سوى الله ﷻ ، قوله : ﴿ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ : المراد بهذا الإسلام الشرعي، الذي هو الاستسلام لأوامر الله الدينية الشرعية، فالإنابة عبادة من العبادات قال تعالى : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود: ٨٨]، قال ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾: فهنا قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر والقصر، ولم يقل (وأنيب إليه)، لأنه ﷻ أراد أن يُعْلِمَ عباده أن الإنابة محصورةٌ ومقصورةٌ عليه فقدم

الجار والمجرور على الفعل والفاعل لإفادة الحصر والقصر كما قال في أخرى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى: ١٠]، هنا أيضاً قدم الجار والمجرور على الفعل والفاعل لإفادة الحصر والقصر.

قال ابن القيم رحمه الله الإنابة إنابتان :

١- **إنابة لربوبيته** : وهي إنابة المخلوقات كلها يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الروم: ٣٣]، فهذا عام في حق كل دَاعٍ أصابه ضر كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام بل تجامع الشِّرك والكفر، كما قال تعالى في حق هؤلاء : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الروم: ٣٣ – ٣٤].

٢-**إنابة لإلهيته** : وهي إنابة أوليائه، إنابة عبودية ومحبة، وتتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض

عما سواه فلا يستحق اسم المُنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع ، أن تُحب من تُنيب إليه، وأن تخضع له، وأن تُقبل عليه، وأن تُعْرِضْ عن كل ما سواه)[1].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٢٨- ٣٢٩) ط دار إحياء التراث العربي .

المحبة

قال الشيخ رحمه الله:{ودليلُ المحبة قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة:١٦٥] }.

الشرح

المحبة لغة: الحب نقيض البغض.

وشرعا: هي معنىً يقومُ بالقلب يُبعثُ على طاعة أوامر الله واجتناب نواهيه ، ويستلزم الخضوع والذُل له سبحانه وتعالى .

المحبة الشركية : هي معنىً يقومُ بالقلب يُبعثُ على طاعة غير الله في امتثالِ أوامره واجتناب نواهيه ، ويستلزم الخضوع لغير الله والذُل لغيره، فمن قام بقلبه هذا وجعل جنس هذه المحبة لغير الله فإنه يكونُ قد أشرك بالله في عبادته.

قوله : {**ودليل المحبة** } يعني والدليل على أن المحبة عبادة وأنه لا يجوزُ أن تُجعل لغير الله ، وأن جعلها لغير الله محرمٌ وشركٌ بالله عز وجل ،

فمحبة الله عبادة ، والمحبة من العبادات القلبية، ويستدل على أن المحبة عبادة ولا يجوز جعلها لغير الله بدليلين.

الأول العام: بأن تثبت أن المحبة عبادة فإذا ثبتت أنها عبادة أوردنا الأدلة العامة الدالة على تحريم عبادة غير الله قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ أثنى الله تبارك وتعالى على المُفْرِدينَ له بالمحبة، وثناؤه عليهم ﷻ دليلٌ على أن المحبة عبادة ، لأن كل فعلٍ وكل قولٍ أثنى الله على فاعليه فهو داخلٌ في حدِّ العبادة، فإذا ثبت أن المحبة عبادة فإنه لا يجوزُ أن تُجعلَ لغير الله ﷻ للأدلة العامة التي حرّمَ الله ﷻ فيها عبادة غيره ﷻ كقوله : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣] .

الثاني الخاص: قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ هذه الآية من الأدلة على وقوع الشرك من بعض الناس ،فإن ﴿ يَتَّخِذُ ﴾ فعل مضارع يدل على التجدد والحدوث والاستمرار ، وهذا فيه أنه لا يزال في أمة النبي ﷺ من يُشرك بالله ،ووجه الاتخاذ قوله : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾، قوله ﴿ يُحِبُّونَهُمْ ﴾هذا بدل من﴿ يَتَّخِذُ ﴾ فسمى الله جل وعلا محبة هؤلاء لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تنديداً .

قوله : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ يعني أنهم أشركوا هؤلاء بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في المحبة ، أي يحبونهم كما يحبون الله فهؤلاء لما أحبوا غير الله المحبة الشركية حصل منهم أن ذلُّوا وخضعوا لغير الله ، وأطاعوا أحبارهم ، وعبدوا رهبانهم فوقع منهم الشرك والتنديد ، والذي جرّهم لهذا أنهم أحبوا أندادهم كمحبتهم لله فجعلوا بعض العبادة لهم، وجعلوا بعض العبادة لله .

قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ فمدحهم على إفرادهم له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالمحبة وحده دون من سواه ، وهم أحبوا الله وحده ، ومحبتهم

هذه بعثتهم على أن يُفردوا الله بالعبادة ، وأولئك محبتهم لغير الله كانت باعثاً لهم على إشراك غير الله بالله في عبادته .

والشاهد من الآية : أن الله جل وعلا ذمّ وعاب من أشرك غيره به ﷻ في المحبة ، فدلّ هذا على تحريم إشراك غير الله بالله في المحبة ، لأن كل فعلٍ ذمّ الله أهله وعابهم فهذا دليلٌ على أن الله جلّ وعلا يحرّم هذا الفعل .

وأما محبة النبي ﷺ ومحبة عباده الصالحين هذه من العبادة لله ، لأن الله أمرنا بمحبتهم ففرْقٌ بين المحبة لله والمحبة من أجل الله والمحبة مع الله .

فالمحبة أقسام :

١-المحبة لله أو محبة الله ، هذه عبادة لأن الله أمرنا بمحبته .

٢-المحبة من أجل الله عبادة ،كـ(محبة الأنبياء والصالحين) لأن الله أمرنا بحبهم، وكل أمرٍ أمر الله به فهو داخلٌ في حدِّ العبادة، فمحبتنا للرسول ﷺ عبادةٌ لله ، ومحبة لأجل الله لأنه لا يُحَبُّ لذاته إلا الله ، فمحبتنا للرسول ﷺ، ومحبتنا للمؤمنين هي من باب المحبة لله ، والمحبة لأجل الله ، والمحبة في الله .

٣-المحبة مع الله ، هذه محبة شركية .

الخشية

قال الشيخ رحمه الله: **{ ودليلُ الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]}.**

الشرح

الخشية لغة: الخوف والذعر.

وشرعا: هي خوف الله المقرون بالعلم به وبعظمته .

فالخشية فيها معنىً يزيدُ على الخوف ، فهي خوف الله المقرون بالعلم به وبعظمته ، هذا الخوف عبادة ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨] ، فالخشية لله ﷻ عبادة من العبادات.

الخشية الشركية : هي خوف غير الله المقرونُ بالتعظيم له، فبعض الناس يقع في قلوبهم من تعظيمهم المخلوقين ما يعتقدون معه أن هذا المخلوق يعلم سرّهم ونجواهم ، وأن هذا المخلوق يملكُ أن يجلب لهم المنافع ويدفع عنهم المضار ، وأنه يتصرّف فيهم ، ويدّعون أنهم على علم بحقيقة ما يعظّمونه وأنه يقدر على ما يدَّعونه فيه مع

الخوف منه، هذه هي الخشية الشركية، يعتقدون أن الشيخ هذا يفعل كذا وكذا فإذا اقترن مع هذه العقيدة خوف فهذا هو الشرك بالله في الخشية وهذا صرفٌ لهذه العبادة لغير الله .

قوله : **{ ودليلُ الخشية }** يعني والدليل على أن الخشية عبادة من العبادات ،وأنه لا يجوز أن تُجعل لغير الله ﷻ ،وأن الواجب على العباد أن يُفردوا الله جل وعلا بالخشية قوله تعالى :﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾.

ويستدل على أن الخشية عبادة وأن جعلها لغير الله لا يجوز بدليلين.

الأول العام: بأن نثبت أن الخشية عبادة فإذا ثبت كونها عبادة أوردنا الأدلة العامة الدالة على تحريم عبادة غير الله قال الله تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾، وفي الأمر بخشيته دليلٌ على أن الخشية عبادة وكل ما ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله محرّمٌ وشركٌ بالله ﷻ للأدلة العامة الدالة على إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه كقوله :﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله

تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣] .

الثاني الخاص: قال تعالى﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ قوله : فـ﴿ لَا ﴾ناهية والنهي يُفيد التحريم ، والدليل على أن ﴿لَا ﴾ ناهية ، أن الفعل المضارع بعدها جاء مجزوماً ، فنهى الله جل وعلا عن خشية غيره فدلّ هذا على تحريم خشية غير الله ﷻ .

وقوله : ﴿ وَٱخْشَوْنِ ﴾ هذا أمرٌ، والأمر يفيد الوجوب ، فدل هذا على أن خشية الله جل وعلا واجبة وأنها فرضٌ على العباد .

ومن القواعد التي يُستفادُ منها الحصر والقصر، أو التي تُنزّل منزلة الحصر والقصر، النهي بعد الأمر، أو الأمر بعد النهي ، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]، هذا نهيٌ جاء بعد أمرٍ، وهنا قال : ﴿ وَٱخْشَوْنِ ﴾ هذا أمرٌ جاء بعد النهي فكلاهما يفيد القصر والحصر .

فالقصر : هو إثبات الحكم المذكور ونفيهُ عما عداه .

فهذه الآية تُفيدُ أن الله جل وعلا يأمرنا بخشيته ، وينهانا عن خشية غيره ، كأنه قال : (لا تخشوا إلا الله) هذا هو الشاهد ، لمّا نهانا عن خشية غيره وأمرنا بخشيته ، دلّ على أن الخشية حقٌ لله جل وعلا يجبُ أن تُجعل له وحده.

الرغبة والرهبة

قال الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ: { **ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى :** ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ** ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]}.

الشرح

الرغبة لغة: رغب في الشيء أراده.

وشرعا: هي الطمعُ في أن يُوصلك الله لمطلوبك وأن يدفع عنك مرهوبك، أن تطمع في الله أن يوصلك إلى ما تريده من حوائجك الدينية والدنيوية، وأن تطمع في الله ﷻ أن يصرف عنك جميع ما تخافه.

الرغبة الشركية : هي أن تطمع في أن يُوصلك غير الله لمطلوبك وأن يدفع عنك مرهوبَك في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله .

هذه رغبة شركية، فمن طمع في غير الله أن يوصله لأمرٍ لا يقدر عليه إلا الله ، كأن يطمع في أن يُنزل له مطراً، أو أن يرزقه ولداً، أو أن يُدخله الجنة، أو أن يطمعُ في أحدٍ ليصرف عنه أمراً لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك غير الله بالله في الرغبة.

الرهبة لغة : الخوف.

وشرعا: خوفٌ طويلٌ يبعثُ على الهرب من المَخُوفِ منه إلى من يعصم منه، فالرهبة خوفٌ طويل خوفٌ مستمر مع الإنسان .

الرهبة الشركية : هي أن تخاف غير الله خوفاً طويلاً في أمرٍ لا يقدر عليه الله ، فمن خاف من غير الله خوفاً واستمر معه هذا الخوف وهرب أو لجأ إلى غير الله ليدفع عنه ما خافه في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله فهذا قد جعل الرهبة لغير الله ويكون بهذا قد أشرك غير الله بالله، ويكون بذلك مشركاً .

قوله : { **ودليل الرغبة والرهبة** } يعني والدليل على أن الرغبة والرهبة عبادتان من جملة العبادات التي يجبُ أن تُجعل لله ، وأن جعْلها لغير الله شركٌ بالله قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

قوله : { والدليل قوله تعالى : **﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾** }،

يستدل على أن الرغبة والرهبة عبادتان لا يجوز صرفهما لغير الله بدليلين.

الأول العام: بأن نثبت أن الرغبة والرهبة عبادتان فإذا ثبت كونهما عبادتان أوردنا الأدلة الدالة على تحريم عبادة غير الله قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ذكر الله جل وعلا هذا مُثْنِياً به عليهم ، فدل هذا على أن الرغبة والرهبة من جملة العبادات لأن الله أثنى على فاعليها ، وإذا ثبت أن الرغبة والرهبة من جملة العبادات فلا يجوز أن يُجعلا لغير الله ﷻ ، بل يجبُ على العبد أن يُفرد الله ﷻ بهما للأدلة العامة الدالة على إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه كقوله :﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣] .

قوله : ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ فعل مضارع يفيد الاستمرار والتجدد والحدوث ، فمسارعتهم في فعل الخيرات مستمرة ، ﴿وَيَدْعُونَنَا ﴾ أي : ويعبدوننا رغباً ورهباً ، وهذه الآية من جملة الأدلة على أركان العبادة .

أركان العبادة ثلاثة :

١-**المحبة** : وهي مأخوذةٌ من قوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾، لأن المُحِب يسعى إلى إرضاء حبيبهِ ، وإلى التذلل لحبيبه بما يُقرّبه ويُدنيه منه .

٢-**الرجاء** : وهو مأخوذٌ من قوله :﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا ﴾.

٣-**الخوف** : وهو مأخوذٌ من قوله :﴿وَرَهَبًا ﴾.

الثاني الخاص: وقد جاءت في الرغبة والرهبة أدلة خاصة كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[الشرح: ٨]، فقدم الجار والمجرور على الفعل والفاعل لإفادة الحصر والقصر ، لم يقل (فارغب إلى ربك) بل قال :﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾، لأنه ﷻ أراد الحصر والقصر قال ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾، وهذه معناها أن الرغبة والرهبة محصورة ومقصورة على

الله، ولا يجوزُ أن تُجعل لغير الله ﷻ فهي ثابتة له وحده دون من عداه .

ودليلُ الرغبة الخاص قوله : ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ معناه : (ارغبوا إليَّ ولا ترغبوا إلى غيري)، والحصر والقصر ينزل منزلة الأمر والنهي .

أما دليل الرهبة الخاص قوله : ﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠]، والشاهد في هذا أن الله جل وعلا قدم المفعول على الفعل والفاعل لإفادة الحصر والقصر ، ﴿ وَإِيَّـٰىَ ﴾ هذا ضمير في محل نصب مفعول به مقدم .

قوله : ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ : فقدم المفعول على الفعل والفاعل لإفادة الحصر والقصر ، والمعنى : (ارهبوني ولا ترهبوا غيري) ، فالله جل وعلا أمر برهبته ونهى عن رهبة غيره .

قوله : ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾ : لم يقل (وكانوا خاشعين لنا) ، بل قال :﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴾، وواو الجماعة اسم كان ، وخبرها ﴿ خَـٰشِعِينَ ﴾ ، فقدم الجار والمجرور ﴿ لَنَا ﴾ على الخبر

لإفادة الحصر والقصر ، وهذا يدلك على العقيدة التي كان عليها الأنبياء ، أنهم يُفردون الله جل وعلا بجميع أنواع العبادة ، فالواجب على الناس أن يقتدوا بهم في الإخلاص لله جل وعلا ، وفي جعل العبادة لله ﷻ وحدهُ وفي تركِ الشرك بالله ﷻ ، قال تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴾ [الشورى: ١٣] ، قال العلماء : ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾ يعني التوحيد ، قوله ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ﴾ من إفراد الله جل وعلا بالعبادة، ومن الاجتماع على هذا التوحيد، والمتابعة للرسل، لأن المشركين أهل فُرقةٍ وأهل شركٍ ، ولذلك تجد في الكثير من الآيات أن الله جل وعلا يأمر بالتوحيد وبالاجتماع، فالاجتماع قرينُ التوحيد، والفُرقة قرين الشرك، قال تعالى :﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾، فهذا فيه النهي عن التفرق المتضمنِ، للأمر بالاجتماع مع إقامة التوحيد، وهنا قال : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الروم: ٣١]، فالفرقة قرينة الشرك، والاجتماع قرينُ التوحيد .

التأله

قال الشيخ رحمه الله: { **ودليل التأله قوله تعالى :** ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾** ﴾ [البقرة: ١٦٣] }.

الشرح

التأله لغة : التنسك والتعبد.

وشرعا: هو اتخاذ الله وحده إلهاً معبوداً، أن يتخذ الإنسان معبوداً يألهه يعني أنه يعبد ذلك الإله والواجب أن يتخذ الناس الله جل وعلا وحده إلهاً معبوداً، وهذه هي قضية الأنبياء مع أممهم، والخلاف إنما وقع في اتخاذ إله مع الله ولذلك جاء الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يأمرون أممهم باتخاذِ الله ﷻ إلهاً واحداً وبعبادة الله وحده قال تعالى :﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: ٥٠].

فقوله :﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾ هذا استثناء مسبوق بالنفي، و﴿ مَا ﴾ نافية و﴿ إله ﴾ نكره في سياق النفي تفيد العموم، و﴿ غير ﴾ أداة استثناء ، فالرسل جميعاً جاءوا إلى أممهم وأمروهم أن

يتخذوا إلهاً واحداً وهو الله ﷻ ، إلى أن جاء خاتمهم ﷺ ودعا إلى ما دعا إليه الأنبياء قبله ولذلك لما جاء لقومه قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص: ٥].

التألُّه الشركي : هو اتخاذ شيء دون الله إلهاً معبوداً

قوله **{ ودليل التأله}** يعني والدليل على ان التأله عبادة لا يجوز أن يُجعل لغير الله وأن جعله لغير الله محرم وشرك قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

ونستدل على أن التأله عبادة لا يجوز أن يجعل لغير الله بطريقين.

الأول العام: بأن تثبت أن التأله عبادة فإذا ثبت أنه عبادة أوردنا الأدلة العامة المحرمة لعبادة غير الله، قال الله تعالى حاكيا عن دعوة الرسل جميعا ، فأمر سبحانه بعبادته وحده وباتخاذه إلها وحده فدل ذلك على أن التأله عبادة وإذا ثبت كونه عبادة فالواجب أن نألهه وحده للأدلة العامة الدالة على إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه كقوله : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣]

وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [قريش: ٣] .

الثاني الخاص: فكم تجد في القرآن أن الله جل وعلا نهانا عن اتخاذ إلهٍ معه ﷻ ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [النحل: ٥١] ، فجاء بـ﴿ إِنَّمَا ﴾ الدالة على الحصر والقصر ، فحصرت الألوهية على الله ﷻ ، فالألوهية ثابتةٌ لله ﷻ ومنفية عن كل أحدٍ سوى الله ﷻ وقال الله ﷻ ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾ [الإسراء:٢٢]، ﴿إِلَٰهًا ﴾ نكرة في سياق النهي تفيد العموم ، لا تجعل مع الله معبوداً من الأنبياء، أو من الأولياء أو من الصالحين، أو من الأشجار أو من الأحجار، أو من القباب، أو من القبور والأضرحة، أو من الكهنة، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال الله ﷻ ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤]، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، فهذه الآيات جاءت بصيغة الحصر، ثم أكّد هذا بقوله﴿ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴾ [طه: ٩٨]،

فـ﴿ إِنَّمَآ ﴾ هذه أداة حصرٍ، ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، هذه جملة معرفة الطرفين ، تأمل في هذا التأكيد والتشديد في هذا الأمر ، الله ﷻ يقول : ﴿ إِنَّمَآ ﴾ ، جاء بـ﴿ إِنَّمَآ ﴾ الدالة على الحصر والقصر، قوله : ﴿ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، هذه جملة معّرفة الطرفين تفيد الحصر والقصر، ﴿ إِلَٰهُكُمُ ﴾، معّرفة بالإضافة ، و﴿ ٱللَّهُ ﴾ لفظ الجلالة أعرف المعارف هذه جملة أيضاً معّرفة الطرفين ، قال الله ﷻ :﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿ مَا ﴾نافية ، و﴿إِلَٰهٌ ﴾ نكرة في سياق النفي ، و﴿إِلَّآ ﴾ أداة استثناء ، وهذه جملة تُفيد الحصر والقصر ، فهذه الأدلة دلت على حصر وقصر الألوهية و حصر وقصر التأله على الله ﷻ ، فلا يجوز للناس أن يعبدوا غير الله ﷻ .

والتأله : أصلٌ جامعٌ تدخل فيه جميع أنواع العبادات ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فقد ألّهَ ذلك الغير واتخذه إلها ، واتخذه معبوداً ، فلا يجوز أن يجعل الناس شيئاً من عباداتهم لغير الله ﷻ ، لأن ذلك داخلٌ في عبادة أو تأليه غير الله ﷻ .

وذكر الشيخ قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ ، ولذلك يجب أن نفرد الله ﷻ بالتألّهِ ، فإنه

ﷻ الإله الذي لا إله إلا هو، ولا يجوز أن نُألِّه غيره سبحانه ﷻ فتأليه غيره باطلٌ وشركٌ به ﷻ ، بل كل معبود غيره سبحانه فباطلٌ ، قال : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، فهذا دليلٌ على أن التأله ،وأن التعّبد يكون لواحدٍ ، قال : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ وهذا تأكيدٌ لما سبق ، يعني أنه يجبُ علينا أن نُألِّه واحداً ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا معبود ولا مألوه بحقٍ إلا هو ﷻ، قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ هذا الذي يجبُ أن يُألَّه وهو الله ﷻ .

فدلّ هذا على أن التأله الذي هو التعبّد لا يجوز أن يُجعل لغير الله ﷻ ، وإنما يجبُ على الناس أن يتخذوا الله وحده إلهاً معبوداً ، وهذا فيه إشارة إلى أن من عبد شيئاً ، أو من توجه بعبادته لأحدٍ فقد ألّهَهُ واتخذه إلهاً ، فالألوهية صفة الله ، لأن اسم (الله) متضمنٌ لصفةٍ ، وهي صفة الألوهية ، فصفة الألوهية هذه ثابتة لله ﷻ ، فمن اتخذ إلهاً غير الله فقد أشرك غير الله بالله في هذه الصفة .

فلا يجوز أن نتخذ مع الله إلهاً ، ومن جعل شيئاً من عبادته لغير الله ، فقد ألّهَ ذلك الغير واتخذه معبوداً وأشرك غير الله بالله في عبادتهِ ، و أشرك غير الله بالله في صفة الألوهية .

الركوع والسجود

قال الشيخ رحمه الله : { **ودليل الركوع والسجود قوله تعالى :**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧]}.

الشرح

الركوع لغة: الانحناء.

وشرعا: له معنيان؛ عام وخاص.

العام: وهو انحناء يصحبه ذل وتعظيم.

الخاص: هو انحناء الظهر مع مد العنق والإفضاء بالكفين مبسوطة الأصابع مع القبض على الركبتين بها.

والسجود لغة: الذل والخضوع.

وشرعا: مباشرة الأرض بالجبهة والأنف والكفين والركبتين وأطراف القدمين.

الانحناء على جهة الذل والتعظيم لغير الله لا يجوز، لأنه عبادة، وتسمى ركوعاً وتُسمى سجوداً .

وأعظم ذلك أن يسجد الإنسان لغير الله السجود الشرعي سجوده في الصلاة ، فمن فعل هذا لغير الله فقد أشرك غير الله جل وعلا بالله في هذه العبادة العظيمة التي هي السجود .

كذلك من انحنى لغير الله ذُلاً ومحبةً وتعظيماً ، لأن الانحناء مع الذل والتعظيم سجود ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ [البقرة: ٥٨]،ولهذا تجدون أن القبوريين يجعلون الباب الذي في القبة قصيراً حتى يدخل الإنسان حانياً ظهره مُطأطئاً رأسه هذا الأمر مقصود لأجل أن تسجد لهذا القبر ، فالسجود لغير الله ﷻ بالانحناء مع الذل والتعظيم ، أو بالسجود الذي هو ركنٌ من أركان الصلاة فجعل ذلك لغير الله شرك بالله ، وكذلك الركوع الذي هو تعظيم ، كذلك الركوع بهيئته الشرعية التي هي انحناء الظهر مع مد العنق والإفضاء بالكفين مبسوطة الأصابع مع قبض الركبتين بها تقربا، فهذه عبادة لا يجوز جعلها لغير الله فمن انحنى لغير الله ذّلاً وتعظيماً فقد صرف السجود والركوع لغير الله وقد أشرك بالله ﷻ ، ومن أتى بالركوع والسجود على صفته الشرعية التي هي في الصلاة وجعل ذلك لغير الله فقد عبد ذلك الغير بهذه العبادة .

قوله : **{ ودليل الركوع والسجود }** يعني والدليل على أن الركوع والسجود من جملة العبادات التي يجبُ أن نتعبد الله تبارك وتعالى بها ، وأن لا نجعلها لغير الله قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ فيستدل على هذا من طريقين.

الأول العام: بأن نثبت أن الركوع والسجود عبادتان فإذا ثبت أنهما عبادتان أوردنا الأدلة العامة المحرمة لعبادة غير الله قال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴾ وهذا دليلٌ على أن الركوع له عبادة وأن السجود له عبادة ، لأن الله جل وعلا أمرنا أن نركع له وأمرنا أن نسجد له ، والأمر هنا للوجوب، وإذا أمر الله ﷻ بشيء فهذا دليلٌ على أن الله يحبُ ذلك الشيء ، وأن ذلك الشيء داخلٌ في حدِّ العبادة ، قوله : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ﴾ هذا عطف عام على خاص ، فالركوع والسجود من أنواع العبادة ، فهذه الآية دليلٌ على أن الركوع والسجود من العبادة، فإذا ثبت أن الركوع والسجود عبادتان فلا يجوز أن نجعلهما لغير الله للأدلة العامة الدالة على إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه كقوله : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء:

٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣] .

الثاني الخاص: قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فهذا هو سبيل الفلاح أن نُفرِد الله ﷻ بركوعنا وسجودنا وسائر عباداتنا ، بأن نجعل العبادات كلها لواحدٍ وهو الربُّ ﷻ ، والله جل وعلا يقول : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧] ، والنهي بعد الأمر ينزل منزلة الحصر والقصر ، فالله ﷻ نهانا هنا عن السجود للشمس والقمر، وهذا من باب التمثيل بشيء من المخلوقات ، يعني لا تسجدوا لشيء من المخلوقات مثل الشمس والقمر ، واسجدوا لله ، فنهانا أن نسجد لغيره وأمرنا أن نسجد له وحده ، فدل هذا على أن نحصر ونقصر ركوعنا وسجودنا على الله .

الخشوع

قال الشيخ رحمه الله: { ودليل الخشوع قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿١٩٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، ونحوها ؛ فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله، فقد أشرك بالله غيره }.

الشرح

الخشوع لغة: السكون والاطمئنان.

وشرعا: هو سكونُ وهدوءُ وطمأنينةُ القلبِ والجوارحِ لله محبةً وتعظيماً وطاعةً وانقياداً .

وأصل الخشوع في القلب ثم تتبعه الجوارح محبةً وتعظيماً وطاعةً وانقياداً له ، فمن سكن وهدأ بقلبه ، وسكنت جوارحه لأحدٍ سوى الله سبحانه وتعالى فقد أشرك غير الله بالله في هذه العبادة التي هي الخشوع .

الخشوع الشركي: هو سكون وهدوء وطمأنينة القلب والجوارح لغير الله محبة وتعظيما وطاعة وانقيادا، فتجد أن المريد يجلس

ويقف عند شيخهِ ساكنٌ سكون السارية، وسكون الخشبة، لا يتحّرك إجلالاً وتعظيماً لهذا الشيخ ، وربما فعل هذا عند القبر، يجلس ساكناً لا يتحرك من شدة الخشوع والسكون والذل لغير الله ﷻ ، فأصل الخشوع في القلب ،فإذا خشع القلبُ تبعه خشوع الجوارح وانقادت الجوارح لله رب العالمين ، فمن سكن ، أو سكن قلبه وسكنت جوارحه لغير الله مُحباً ومُعظّماً فقد عبد غير الله وأشرك غير الله بالله .

قوله : **{ ودليل الخشوع}** يعني والدليل على أن الخشوع عبادة وأنه لا يجوز أن تجعل لغير الله وأنه يجب أن نُفردَ الله تبارك وتعالى بها . ويستدل على أن الخشوع عبادة وأن جعله لغير الله لا يجوز بدليلين .

الأول العام: وهو أن نثبت أن الخشوع عبادة فإذا ثبت أنه عبادة أوردنا الأدلة العامة الدالة على تحريم عبادة غير الله قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿١٩٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، الشاهد في الآية : أن الله أثنى عليهم قال :﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ ، وكل فعل أثنى الله على فاعليه فهو عبادة .

فثبت بهذا أن الخشوع عبادة ، وإذا ثبت كونه عبادة فجعله لغير الله شركٌ بالله لعموم الأدلة الدالة على وجوب إفراد الله بالعبادة والمُحّرِمةِ لجعل العبادة لغير الله ﷻ كقوله : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [قريش: ٣] .

الثاني الخاص: قال تعالى في ثنائه على أنبيائه ورسله ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، واو الجماعة هذا هو اسم كان، و﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ خبر كان ، فتأمل لم يقل (وكانوا خاشعين لنا)، لأنه ﷻ أراد الحصر والقصر، أراد أن يُبيّنَ أن الخشوع عبادة وأن الخشوع محصورٌ ومقصورٌ عليه ﷻ قال : ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ فقدّم الجار والمجرور لإفادة الحصر والقصر ، وهذا معناه أنهم كانوا يخشعون لله ولا يخشعون لغيره ، فدلّ هذا على أن الخشوع لله ﷻ عبادة من جملة العبادات التي يجبُ أن تُجعلَ لله ولا تُجعل لغير الله .

حكم الله فيمن جعل العبادة لغير الله

قال : **{ ونحوها }**: بعد أن ذكر جملة من العبادات منبهاً بها على غيرها ، قال **{ ونحوها }**: يعني ومِثْلها مما يدخل في حدّ العبادة .

قوله : **{ فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع }**: يعني من جعل شيئاً من هذه العبادات التي ذكرها أو من غيرها مما لم يذكره لغير الله .

قوله: **{ فقد أشرك بالله غيره }** : نجزم ولا نرتاب ولا نشك أن من عبد غير الله بأيِّ نوعٍ من أنواع العبادة فقد أشرك غير الله بالله في عبادته.

قال : **{ فقد أشرك بالله غيره }** ، يعني في العبادة ، أيّاً كان ذلك الغير ، كان ملكاً ،أو كان نبياً ، أو كان رسولاً ،أو كان ولياً ،أو كان صالحاً ، أو كان جناً ، أو كان إنساً، ، أو كان قبراً ، أو كان ضريحاً ، أو كان مشهداً ، أو كان مزاراً ، أو كان حجراً ، أو كان كاهناً، أو كان ساحراً عرّافاً دجالاً ، من صرف العبادة أو شيئاً منها لغير الله فقد أشرك بالله غيره .

والدليل على أن من عبد غير الله يكون مشركاً قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، يعني ومن يعبد مع الله معبوداً، فدلت الآية على أن من عبد غير الله فقد ألّهَ ذلك الغير ، قوله : ﴿ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾: هذه صفة كاشفة ، وهذا معناه أن واقعَ وحالَ كل من عبد غير الله فإنما عبد ذلك الغير بغير حجة ولا برهان كما قال تعالى : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم: ٢٣]، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤]، وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج: ٧١]، فكل من توجه بالعبادةِ لغير الله فليس له حجة وليس له دليلٌ على فعله هذا.

قال : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فبيّن الله جل وعلا أن من عبده وعبد غيره ، وأن من توجه بالعبادة لغيره فهو كافر ، هذا حكم الله ، والله ﷻ بيّن أن من توجه بالعبادة لغيره كان مشركاً

قال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]؛ أي : من المشركين ، لأن حقيقة الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وفي غير محله ، والعبادة حقُّ الله فمن جعل العبادة لغير الله فقد وضعها في غير موضعها ، وجعلها لغير مستحقها، قال الله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى في بيان أن من عبد غيره فقد أشرك غيره به قال ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤]، فهذا دليل واضح على أن من جعل شيئاً من العبادة لغير الله فإنه يكونُ قد أشرك غير الله بالله في العبادة .

أعظم ما أمر الله به
وأعظم ما نهى الله عنه

قال الشيخ رحمه الله: **{ فإن قيل : فما أجلُّ أمرٍ أمر الله به ؟ قيل : توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه ؛ وأعظم نهي نهى الله عنه، الشرك به، وهو : أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك، من أنواع العبادة؛ فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله : فقد اتخذه ربّاً، وإلهاً، وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك، من أنواع العبادة }.**

الشرح

قوله:**{ فإن قيل}** يعني فإن سُئلت يا طالب العلم **{ما أجلُّ أمرٍ، أمرَ الله به ؟ }** يعني ما أعظم ما أهمُّ أمرٍ، أمرَ الله به في كتابه وفي سنة رسوله .

قوله : **{قيل}** يعني جواباً على هذا السؤال .

قوله : **{توحيده بالعبادة }** أفادنا أن أعظم أمرٍ، أمرَ الله به هو توحيد العبادة أو توحيد الألوهية أو توحيد الإلهية أو التوحيد

الإرادي الطلبي أو توحيد القصد والطلب ، لأن توحيد العبادة هو الأساس وهو الأصل الذي ينبني عليه العمل .

فالتوحيدُ : هو الحسنةُ التي لا تنفعُ بدونها حسنة ، ولذلك نجد أن الشيخ كثيراً ما يُكرّر ويقرر أن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد .

توحيد العبادة : هو إفراد الله بالعبادة ، و(**إفراده**) يعني أن نجعل العبادة خاصةً به خالصةً له ﷻ، والإفراد يتضمن أن ننفي عبادةَ كلِّ من سوى الله ﷻ وأن نُثبتها لله وحده .

قوله : **{وقد تقدم بيانه }**، هذه الرسالة كما بيّنتُ مأخوذة من رسالة موجزة في أصول الدين ، وكان الشيخُ قد بيّن فيها معنى التوحيد وأورد سؤالاً بيّن في جوابه توحيد الألوهية .

قال : **{ إذا قيل لك ما هو الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ؟ }**

فعرّف توحيد الأُلوهية بأنه إفراد الله بأفعال العباد التي تقعُ منهم على جهة التقرّبْ ،يعني أن نُفرد الله بصلاتنا وصيامنا وزكاتنا – وخشوعنا إلى أن قال –أن نجعل العبادة لواحدٍ وهو الله ﷻ .

توحيد الربوبية : هو إفراد الله بأفعاله ، كالإحياء والإماتة وشفاء المرضى وهداية القلوب وتفريج الكروب وإنزال المطر ، هذا كله خاصٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قوله : **{وأعظم ما نهى عنه الشرك به}**: أفادنا أن أعظم أمرٍ نهى الله عنهُ هو الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ومراده بهذا الشرك في الألوهية الذي هو عبادة غير الله معه ، فهذا أعظم المناهي ، لا بد أن يتقرر هذا في النفوس، أن أعظم ما أمر الله به التوحيد وهو أعظم من الصلاة ومن الزكاة ومن الصوم ، ومن الحج ومن بر الوالدين ، ومن صلة الأرحام، لأن التوحيد حقُّ الله كما جاء في الصحيحين من حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟» ، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» [1]، حقُّ الله أعظم الحقوق ، ولذا كان

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم برقم (٣٠).

توحيد الله أعظم ما أمر الله به ، والإخلالُ به هو إخلالٌ بأعظم حقٍ يجبُ على العبدِ ، ولذلك كان الشرك بالله أعظم المناهي .

قال : **{ وهو : أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك، من أنواع العبادة }** ،قوله :**{ وهو : أن يدعو مع الله غيره }**: مراده دعاء المسألة .

ودعاء المسألة : هو نداءُ الله المقرون بطلب جلب المنافع أو دفع المضار ، فإذا دعا الإنسان غير الله طالباً من ذلك الغير أن يجلب نفعاً أو يدفع عنه ضراً في أمرٍ لا يقدرُ عليه إلا الله ﷻ فإنه يكون قد جعل عبادة الدعاء لغير الله .

أو يقصد غير الله بأيِّ نوعٍ من أنواع العبادة كأنْ يستعين بغير الله، أو يستغيث بغير الله ، أو يذبح لغير الله ، أو يعكف على القبور تقرباً بأصحابها ، أو أن يطوفُ بها عبادة لها أو لأصحابها ، أو تقرباً لها ولأصحابها ، أو غير ذلك من أنواع العبادة .

والدليل على أن أعظم ما أمر الله به التوحيد أن التوحيد حق الله، ولا شك أن حق الله أعظم الحقوق ، ولأجل التوحيد خلق الله ﷻ الخليقة ، ولأجله أرسل الرسل ، ولأجله أنزل الكتب ﷻ، ونجد

أن الله ﷻ إذا أمر العباد بأوامر جعل التوحيد أولها ، وسائر الأنبياء كانوا يبدؤون أممهم بالدعوة إليه ، وكان النبي ﷺ يُرسل أصحابه ويأمرهم أن يدعوا الناس أول ما يدعوهم إلى توحيد الله ﷻ، وأول أمرٍ في كتاب الله ﷻ هو الأمر بتوحيدهِ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، هذا أول أمرٍ في كتاب الله ، فالأنبياء ما أمروا أممهم بشيء قبل التوحيد ، ولم ينهوا أممهم عن شيء قبل النهي عن الشرك ، والله ﷻ إذا ذكر المناهي ابتدأها بذكر الشرك به ﷻ كما قال في آية الحقوق : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦]، فبدأ الأوامر بالتوحيد وبدأ النواهي بالنهي عن الشرك بالله ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الفرقان: ٦٨]، فذكر الشرك أولاً قبل كل شيء ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٢]، فجعل الشرك أول المناهي التي يُبايع على تركها .

وثبت في الصحيحين من حديث عبادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه» [١]، فهذا دليلٌ على أن الشرك بالله أعظم المناهي ، وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت: يا رسول الله أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك»[٢] الحديث، كذلك جاء في الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله » [٣] الحديث، وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين «اجتنبوا السبع الموبقات»،

---

(١) البخاري برقم (٧٢١٣) ومسلم برقم (١٧٠٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم برقم (٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم برقم (٨٧).

قالوا: وما هي؟ قال: «الإشراك بالله »[1] ، فهذه الأدلة دلت بمجموعها على أن الشرك بالله أعظم المناهي، وهو موطنُ النزاع بين الأنبياء وبين أممهم ، وتوحيدُ الألوهية هو التوحيد الذي بُعثَ الرسل لتقريره كما قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [النحل: ٣٦]، ماذا يقول لهم هذا الرسول ؟ يقول ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، هذا هو توحيد الألوهية ، يعني :(اعبدوا الله واتركوا عبادة ما سواهُ) ، فأعظم أنواع التوحيد وأشرفها وأجلها توحيد الألوهية ، وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فهذه من أدلته وبراهينه.

قال رحمه الله: **{ فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله : فقد اتخذه ربّاً، وإلهاً }**، كيف يتخذ الإنسان غير الله تبارك وتعالى رباً ؟ بأن يجعل له العبادة أو شيئاً منها ، و الربوبية والألوهية كالإسلام والإيمان

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:(**فاعلم أن الربوبية، والألوهية : يجتمعان، ويفترقان، كما في قوله : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ**

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩).

﴿ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ وكما يقال ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وإلهّ المرسلين ؛ وعند الأفراد : يجتمعان، كما في قول القائل : من ربك ؟) [1].

فالربُّ يأتي في القرآن بمعنى الإله ، فمن عبد غير الله فقد اتخذ من عبده رباً يعني معبوداً إلهاً ، والقرآن جاء بهذا كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، هذا ما حصل أبداً، أن نبيّاً من الأنبياء جاء وأمر الناس بعبادة نفسه ، فإن كانت العبادة لا تَصح ولا تجوزُ أن تُجعلَ لنبيٍّ من الأنبياء فكيف بمن هو دونه ؟ ، وكذلك لم يرسل الله رسولاً يأمر قومه بعبادة غيره من الملائكة والنبيين قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، هذه

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٠٦).

الآية يؤخذ منها أن من جعل العبادة لغير الله فقد اتخذ ذلك الغير رباً ، وأن من دعا الناس لعبادة غير الله فقد دعاهم إلى الكفر ، وأن من عبد غير الله فإنه يكون قد فعل الكفر لقوله : ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾، إذاً من يدعو الناس إلى جعل العبادة أو إلى جعل شيء منها لغير الله، فهذا يدعو الناس إلى الكفر ، يدعوهم إلى أن يكفروا بعد إسلامهم، وهذه هي حقيقة دعوى كل من عارض الرسل في الدعوةِ إلى توحيد الله ﷻ، ودعوة كل من دعا الناس إلى عبادة غير الله ، والاعتقاد في غير الله فإنه دعوة إلى الكفر.

قال ابن كثير رحمه الله في قوله : (﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ﴾ أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّب ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي: لا يَفْعَل ذلك؛ لأنَّ من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.)[1] ، ما الشيوعية

(١) تفسير ابن كثير(٢/ ٢٧٠) ط دار ابن الجوزي .

وحدها التي تدعو إلى الكفر ، ولا العلمانية وحدها التي تدعو إلى الكفر ، بل الصوفية هم أساس هذا البلاء ، الذين يدعون الناس إلى التعلّق بغير الله ، ويدعون الناس إلى صرف العبادة للأولياء للقباب للقبور للأضرحة ، هذه دعوة صريحةٌ إلى الكفر بالله .

قال الطبريُّ رحمه الله: (وما كان للنبي أن يأمركم، أيها الناس، ﴿أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ يعني بذلك آلهة يعبدون من دون الله ، كما ليس له أن يقول لهم: كونوا عبادًا لي من دون الله) [1].

كما أنه يحرم عليه ، ولا يجوز له أن يدعو الناس إلى عبادة الملائكة والنبيين ، كذلك يحرم عليه أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه ، وقال تعالى :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، أرباباً يعني معبودين ، ومن الأدلة على أن الأرباب تأتي بمعني المعبودين قوله عن نبيِّه يوسف ﷺ ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٥٤) ط المكتبة التوفيقية .

ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: ٣٧ - ٤٠].

قوله : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾ أمعبودون متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، قوله : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ يعني : معبودين ، إذاً من صرف العبادة أو شيئاً منها لغير الله ، فقد جعل ذلك الغير رباً .

قال رحمه الله: **{وإلهاً}** كذلك من عبد غير الله ، لو أن شخصاً دعا المكاشفي، فقال يا مكاشفي مدد فهذا يكون قد اتخذ المكاشفي إلهاً، لأن التأليه هو أن تجعل العبادة أو شيئاً منها لغير الله ، فمن جعل

العبادة لله وحده فقد اتخذ الله وحده إلهاً ومن جعلها لله ولغيره فقد اتخذ ذلك الغير إلهاً .

قال : **{ فقد اتخذه }** ، يعني : اتخذ ذلك الغير **{ رباً وإلهاً}** والدليل على هذا أن النبي ﷺ لما جاء إلى قومه قال لهم : « اعبدوا الله وحده» ، كما جاء في حديث هرقل ، قال : (وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَّ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)[1]، هذاما جاء به ﷺ قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص : ٥]، فهذا دليل على أن الإله هو المعبود ، قال تعالى عن اصحاب الكهف : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٤] فاستدلوا بربوبيته على استحقاقية العبادة ،وأن من جعل العبادة لله فقد اتخذ الله إلهاً معبوداً .

قال رحمه الله : **{وأشرك مع الله غيره}** فالذي يصرف العبادة لغير الله فقد اتخذ ذلك الغير إلهاً واتخذه رباً ويكون بذلك مشركاً كافراً بالله

---

(١) رواه البخاري برقم (٧).

ﷻ والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠] فالذي يصرف العبادة أو شيئاً منها لغير الله فقد واقع الكفر بالله ﷻ قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ﴿ يَدْعُ ﴾ يعني يعبد ، فسمى من عبد غيره كافراً وكذلك قوله : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٤]، فسمى عبادة غيره شركاً.

قال رحمه الله: **{ أو يقصده بغير ذلك، من أنواع العبادة }** ، ثم قال : **{ وقد تقدم، من الآيات : ما يدل على أن هذا}** :الإشارة هنا إلى الشرك في العبادة، فقال : **{ أن هذا هو الشرك ، الذي نهى الله عنه ، وأنكره على المشركين}**.

فالشيخ رحمه الله كان قد قدّم الآيات التي تدل على أن المشركين – في جملتهم – كانوا يقرون بالربوبية إجمالاً وأن النزاع بينهم وبين

الأنبياء ما حصل في توحيد الربوبية لقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١] ،وقوله : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤] ،وقوله :﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٧]، إلى غير ذلك من الآيات التي أبان الله جل وعلا فيها أنهم مقرّون بربوبيته في الجملة، فالشرك الذي عابه الله عليهم ، وجاءت الأنبياء لنهيهم عنه إنما هو الشرك في الألوهية، ولأجل هذا سُمّوا بالمشركين، لأنهم أشركوا غير الله بالله في عبادته، ولذلك قال الله ﷻ ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦]، يعني في عبادته .

قال :{ **وأنكره على المشركين** } فالله جل وعلا أنكر عليهم الشرك، والقرآن كلّهُ في إنكار الشرك وقي الدعوة إلى التوحيد ، فالمتأمل في القرآن يجد أن الله جل وعلا أنكر عليهم هذا في عموم سور القرآن ، والله جل وعلا أرسل رسله لأجل أن ينهوا المشركين عن عبادة غير الله ، والمشركون ما أنكروا أن الله يُعبدْ ، وإنما هم يُقرون بأن الله يُعبدْ وأن الله جل وعلا هو الإله الأكبر ، وإنما جعلوا بينهم وبين الله من وسائط أرادوا بعبادتها أن يتقرّبوا إلى الله وأن تشفع لهم هذه الوسائط عند الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، فالله جل وعلا قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣] ، فهذا من جملة الأدلة التي أنكر الله عليهم فيها عبادة غيره ، والأدلة كثيرة ،وضرب الله أمثلة كثيرة في إنكار الشرك وتقبيحهِ قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٢٩] ،هذا في

مقام الإنكار ، وقال: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الروم: ٢٨] ، وكذلك قال :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١] إلى غير ذلك من الآيات التي أنكر الله فيها على المشركين شركهم .

قال رحمه الله: { **وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]}** .

يعني أن الله لا يغفر لعبدٍ لقيه وهو مشركٌ به الشرك الأكبر ، وهذه الآية فيمن مات على الشرك الأكبر ولم يتب منه ، وأما التوبة من الشرك في حال الحياة فإنها مقبولة إذا أُتيَ بها بشروطها، وقال الله عز وجل ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟

فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٣] ، وقال :﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر: ٥٣]، هذه الآية في حقّ التائبين ، في حقِّ من تاب من الشرك ومن الكفر ومن المعاصي في حالِ حياته فتوبته مقبولة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠].

قوله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ : الإشارة هنا إلى الشرك الأكبر ، ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ من الذنوب ، ما دون الشرك الأكبر لمن لقيه بها، وشاء الله أن يغفر له .

قال : { وقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة: ٧٢] }.

وهذا دليلٌ على ان الشرك اعظم المناهي ، ليس هناك ذنبٌ حرّم الله على صاحبه الجنة إلا الشرك الأكبر، وليس هناك من ذنبٍ يوجبُ للإنسان أن يخلد في النار إلا الشرك الأكبر ، فدل هذا على أن الشرك أعظم المناهي وأخطرها وأضرها على العبد في دنياه وفي آخرته .

فكل بلاءٍ يحصل من قحطٍ ومن جوعٍ ومن قلةِ أمنٍ ، ومن عدمِ استقرار في الدنيا سببه الشرك بالله سبحانه .

وكلُّ أمنٍ وكلُّ رخاءٍ وكل سعة عيشٍ ، وسعة رزقٍ فسببه التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ [النور: ٥٥]، آمنوا ووحدوا، ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾ [النحل: ٩٧]، فالإيمان والتوحيد سابقٌ للعمل ، ولذلك قال النبي ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له :

«إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى»[١]، هذا الأساس ثم بعد ذلك ثنّى بالعمل قال: «فإن هم أجابوك لذلك»، يعني لو لم يُجيبوا للتوحيد، لو أنهم صلوا الليل والنهار لما نفعهم ذلك ، ولذلك قال «فإن هم أجابوك لذلك»، بعد ذلك يُنتَقل معهم إلى الأعمال ولذلك قال الله ﷻ : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ۝٥ ﴾ [التوبة: ٥] ، تابوا ووحدوا قال : ﴿ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ ﴾ [التوبة: ٥]، وقال الله ﷻ ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾ [التوبة: ١١] ، فالتوحيد هو الأساس في قبولِ العمل الصالح ويُبدأُ به أولاً قبل كل شيء ، ولذلك من دعا الناس إلى الأعمال الصالحة دون أن يدعوهم إلى أن يجعلوا التوحيد أساس أعمالهم فهذا كمن دعاهم إلى أن يحرثوا في البحر.

وأصل وأساس التروك أن تترك الشرك ، فمن لم يترك الشرك لا ينفعه ترك محرّمٍ من المحرّمات ولا يُقبل منه .

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٥٨) ومسلم برقم (٢٩).

قوله : ﴿ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ؛ قد إذا دخلت على الفعل الماضي تفيد التحقيق ، يعني ؛ هذا قد تحقق تحريم الجنة عليه ، قوله : ﴿ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ ؛ أي خالداً مخلداً فيها ، فالدعاةُ إلى الله وعلى رأسهم الأنبياء يعلمون مما أبانه الله في كتابه ،أن أعظم أمرٍ يجبُ أن يُدعى إليه الناس قبل أن يدعوا إلى الصلاة وإلى الصيامِ وإلى الحجِّ هو التوحيد .

وأن أول نهيٍ يجبُ أن يُنهى الناس عنه هو الشرك بالله ، قبل أن تدعوهم إلى ترك الزنا ، وإلى ترك الربا وإلى ترك شرب الخمر ، والله إن الشرك بالله أعظم من الزنا بالمحارم ، ولذلك لا بد من أن ندعو الناس إلى تعظيم التوحيد حتى يُعَظّم التوحيد في قلوبهم ، وأن نُبيّن لهم خطر الشرك حتى يُعظّم في قلوبهم كما كان الأنبياء .

نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يحبه يرضى وأن يسلك بنا سبيل الأنبياء وأن يجنبنا طرائق المشركين وسائر الأشقياء ، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس المحتويات

مقدمة.....٤
بيان معنى العبادة وأركانها.....٨
بيان أنواع العبادات.....٢٨
الدعاء.....٣٦
الاستعانة.....٤٤
الاستغاثة.....٤٧
الذبح ٥١
النذر.....٥٧
الخوف.....٦١
الرجاء.....٦٦
التوكل.....٧١
الإنابة.....٧٤
المحبة.....٧٩
الخشية.....٨٣

الرغبة والرهبة.....٨٧
التأله.....٩٣
السجود والركوع.....٩٨
الخشوع.....١٠٢
حكم الله فيمن جعل العبادة لغير الله.....١٠٥
أعظم ما أمر الله به وأعظم ما نهى الله عنه.....١٠٨
فهرس المحتويات.....١٢٨